15 em Année No. 737

Lundi — 18 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

بين الروحانية والمـــادية

للاســـتاذ عباس محمود العقاد

« ... وعلى سبيل الاستفسار أوجه إليكم الأسئلة الآتية بعد قراءة ردكم على نقد الأستاذ اسماعيل مظهر لكتابكم عن الله راجياً أن تتفضلوا بالإجابة عنها فى الرسالة الغراء :

١ — أليس هناك وجه من الصواب فى وجوب التفرقة بين الوجود والوجود وبين العدم والمعدوم فى الكتابات الفلسفية ؟ فإن الكاتب الأديب قد يجوز له أن يستعمل إحدى الكلمتين بمعنى الأخرى من قبيل التجوز المقبول فى الكتابة الأدبية . ولكن هل يقبل ذلك فى لغة العلم والفلسفة ؟ .

٢ — هل من الضرورى أن يخلق العالم الطبيعى خليقة حية ليقول إن النواميس المادية تتسلط على الحياة ؟ ألم يصنع العلماء مادة البروتو بلازم التى هى مادة الحياة ولا يبقى إلا الزمن لتشبه هذه المادة المصنوعة مادة الحياة ؟ ألا يحق لنا فى العصر الحاضر بعد كشف الذرة أن نقول إن العلم قد وضع سر المادة فى أيدى العلماء ... الخ الخ » .

الإسكندرية — صابر . م

***

أما فى مسألة الوجود والموجود والعدم والمعدوم فالأديب المستفسر قد عكس الأمر فطلب فى لغة العلم والفلسفة ما يطلب من الأديب ، أو طلب من الأديب ما يطلب فى لغة العلم والفلسفة

وقد جرت المناقشة فى هـذا الموضوع من قبل بين الرازى والصابونى فقال الإمام الرازى فى مناظراته : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوَّن يكون تكويناً فهو مكون وذاك مكون ، فالتكوين مصدر والمكون مفعول ، والفرق بين المصدر والمفعول معلوم فى اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق فى الحقائق والمعانى . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول وذلك لا يوجب الفرق بينهما فى الحقيقة » .

فالفلاسفة هم الذين سوغوا استخدام كلمة الوجود بمعنى الموجودات ، ولم يمتنع ذلك فى اللغة لأن شواهد هذا الاستخدام متكررة فى كل مقام .

***

وقد نجارى الأديب المستفسر على رأيه فى خلق الخليقة الحية فنقول إن العالم الطبيعى لا يطالب حتما بخلقها فى المعمل ليجوز له أن يقول إنها قوة مادية وليس فيها زيادة على القوة المادية .

ولكنه يطالب حتما بمعرفة العلة التى تفرق بينها وبين القوة المادية ليقول إن هذا الفرق من المادة وليس من شيء غيرها . أما أن يجزم بمصدر هـذه العلة وهو لا يعرفها ولا يستطيع أن

العيش من وجه حلال ، وما وراء ذلك فالأمر موكول فيه لله عز وجل .

— اسمع يا أخي !.. إنني غريب عن هذه الأوطان ، وقد جئت هنا للتجارة ، وسأرجع إلى « الأندلس » وطني ومسقط رأسي بعد أيام قلائل ، وسأكون سعيداً إذا رافقتني إلى بلادي وقبلت أن تعمل معي .

— إني أقبل شاكراً ، ولكن أي عمل تكل إلى أداءه ؟

— قد سمعتك تقول آنفاً إنك فارس مبدع، وراشق ماهر. سيكون هذا عملك ، لأني سأنيط بك حراستي في حلي وترحالي .

— ستجدني إن شاء الله صابراً ، ولا أعصي لك أمراً .

— ذلك ما كنا نبغي .

ولم تمض إلا أيام تعد على أصابع اليد حتى كان إدريس رافق القافلة الصغيرة إلى بلاد الأندلس ، ويقضي النهار في حث الإبل على مواصلة السير . فإذا ما جنّ الليل . . . وادلهمت جوانب الكون ، حطوا رحالهم ، ونصبوا خيامهم ، وامتشق إدريس ورفاقه سيوفهم ، وقضوا الوقت في حراسة المتاع ، والحفاظ على التاجر .

وبعد رحلة شاقة ، وسفر ، بلغت القافلة مرفأ على الشاطىء الإفريقي المواجه لبلاد الأندلس ، اعتاد التاجر أن ينتقل منه إلى الشاطىء الآخر ، وكان إدريس — طوال هذه الرحلة — مثالا للرفيق المخلص ، والحارس الأمين ، دائب السهر على خدمة سيده ، مجداً في تهيئة الراحة له ، حتى انتزع إعجابه ومحبته ، ونال رضاه وتقديره ، ولقد كان للبيئة الإسلامية التي ربى إدريس فيها كبير الفضل في غرس الصفات الحيدة والأخلاق الكريمة في نفسه ، فنشأ مخلصاً أميناً ، وفياً كريماً ، فانطوت القلوب على محبته ، وامتلأت النفوس له احتراماً .

ولقد تهيأت الفرصة التي تجلى فيها إدريس على حقيقته ، وطبعت في قلب سيده حبه في أعنف مظاهره ؛ فقد حطت القافلة الرحال على نصف ميل من المرفأ في ليلة اعتكر ظلامها ، وخبا نجمها ، وجعلت خيمة التاجر في الوسط ، وأحاطتها بسائر الخيام وكان عليها أن تمكر في هذا المكان أسبوعاً كاملا إلى أن تعود السفينة التي تنقل بالمسافرين من شاطىء إلى آخر ، وكان التاجر قد طال غيابه عن أهله ووطنه ، فحمل في عودته كثيراً من التحف النادرة ، والهدايا الثمينة ، والأواني الذهبية ، ليتحف بها ذويه وعشيرته الذين برح به الشوق إليهم ، وكانوا جميعاً يقضون النهار في الراحة ورعى الدواب ، ويقضون الليل في السهر والحراسة .

وإنهم لفي أصيل يوم من الأيام يتأهبون لعملهم الليلي إذ لاح لهم عن بعد نقطة سوداء ، فوق صفحة الماء ، كانت تزداد كبراً ، كلما ازدادت منهم قرباً ، ولقد تبين فيها حراس المرفأ سفينة صغيرة ، « للقراصنة » فبذلوا جهدهم لإبعادها عن الشاطىء ، ووزع الضباط رجالهم على الساحل ، ليتبادلوا الحراسة طول الليل ، وكذلك فعل رجال القوافل الذين كانوا في انتظار السفينة لتقلهم إلى الشاطىء الأسباني عند ما علموا أن المركب « للقراصنة » وأنهم سينالون منهم لا محالة ....

وقد أمر التاجر رجاله أن ينظموا خطط الدفاع والمقاومة ، وأن يتبادلوا مع إدريس المشورة والحراسة ، وكان الظلام قد أسدل ستراً كثيفاً على الخيام ، ولف الكون هدوء شامل ، عند ما فوجىء القوم بضجة وجلبة على الشاطىء ، وعلموا أن القراصنة أقرب إليهم من حبل الوريد ، فقد أرسوا سفينتهم ، ونزلوا إلى الأرض في مكان لم يقدر الحراس أنهم يستطيعون النزول فيه فأهملوا حراسته .

كان إدريس قد غادر موضعه إلى ظاهر الخيام ليقضي حاجته ، وترك رفاقه يحرسون المتاع ، وقد أخذوا الأهبة وأتموا الاستعداد ، ولكن القراصنة كانوا حريصين على أن يصلوا إلى أغراضهم عن طريق الحيلة من غير أن يستعملوا سلاحاً ، أو يريقوا دماء ؛ فهم يعلمون أن المسافرين يكثرون من الأتباع لحراستهم ومرافقتهم ، وأن هؤلاء الأتباع يستهويهم المال ، فنادى رئيس القراصنة وقائدهم قائلا :

— أيها الحراس ! يا من ترافقون القوافل من أجل المال ! إني أعدكم أننا سنشاطركم متاع هؤلاء التجار إن أنتم ألقيتم السلاح وعاونتمونا في حزم وحمل الأمتعة إلى الشاطىء وستحملكم على سفينتنا إلى حيث تريدون .

(يتبع)

وهبي إسماعيل حقي
عضو البعثة الألبانية بالأزهر الشريف

مهولة بعيدة الأغوار ، وأنها ليست من المسائل التي يفض فيها الإشكال بكلمة وتصرف الاعتراضات فيها بجلسة مريحة بين المحابر والأوراق أو بين المصانع والأنابيب .

وإذا كان هناك فرض أرجح من فرض في مجال المباحث العلمية الحديثة فذلك هو الفرض الذي يعزز الإيمان بالمشيئة الإلهية لأن هذا المجال قد رجع بأصل المادة كلها إلى الاختيار ، ورجع بالقوانين المادية كلها إلى سلطان غير سلطان القوانين المدعاة .

فإن لم يكن ترجيح فليكن تريث وانتظار .

أما الجزم بالمزاعم المادية بين هذه الكشوف المتجددة فهو « إيمان مقلوب » ... لأن إيمان المجازف يقوم على أسباب أقوى من الأسباب التي يقوم عليها هذا الإيمان المقلوب ... أو هذا الإنكار الجازم بلا أسباب ! !

عباس محمود العقاد

القسم الثامن :

فرنســـا ومستعمراتها

الأمير عبد القادر الجزائري

زعيم وأمير وجندي وقائد ثورة

للأســـتاذ أحمد رمزي بك

« إذا صقلت بارق سيفي »
« وأخذت بالقضاء يدي »
« رددت الانتقام على أعدائي »
« وفرضت القصاص عليهم »

نشيد موسى النبي في سفر التثنية

رأيت كيف تلقى العالم الإسلامي بوجوم أنباء الاعتداء الفرنسي على الجزائر ، وكيف احتلت فرنسا السواحل والناس في شغل عن هذا كأن الأمر لا يعنيهم ، فألقي عبء الجهاد على أهل الجزائر يقاتلون ويقتلون ويشردون ، والقطر الجزائري ساحل ممتد الأطراف على مسافات شاسعة ، فأصبح لكل مدينة على البحر جبهة قتال قائمة بذاتها .

ففي جبهة مدينة الجزائر ، زحف القائد الفرنسي إلى الداخل واحتل مدينة البليدة وقدم أهلها الطاعة بين يديه ، ولكن دعوة الجهاد والدفاع عن الوطن انتشرت بين القبائل في الجبال المحيطة فتجمعت الجموع وزحفت إلى القتال ، وفي اليوم الثالث من احتلال المدينة اقتحمت قوات المجاهدين أسوار البليدة ، وهزمت جنود فرنسا ، فاضطر القائد العام أن ينسحب مع من بقي من جنده عائداً إلى الجزائر ، حيث دعي إلى بلاده فآثر أن يميش بإسبانيا ، وجاء قائد آخر ، أخذ يدبر الأمور لإتمام الاحتلال ، تارة بالسيف وأخرى بالخديعة وبذل الوعود .

في هذه الأثناء اتجهت الأنظار إلى سلطان مراكش واجتمع أهل العقد والحل من سكان الجزء الغربي وأرسلوا وفداً إليه يطلبون معونته فأجابهم إلى مطلبهم وبعث بأمير من أولاد عمه ، فلقيه الناس بالطاعة ، ووصلت طلائعه إلى ناحية مليانة شرقاً ، ولكن فرنسا أسرعت وكانت ممثلها لدى البلاط الشريفي أن يحتج على هذا التدخل ، فاضطر سلطان مراكش أن يسحب جنوده ، وأن يستدعي ابن عمه إليه ، ويترك أمر الجهاد لأهل البلاد .

***

كانت الدعوة إلى الجهاد عامة يشعر بها الناس كافة من عرب وبربر ، ومن أهل الحضر وأهل الجبال والبادية ، وكانت الحرب في كل ناحية قائمة ، ولكن كانت تنقص الدعوة القيادة المنظمة التي تجمع الشمل وتنظم الجهود ، وتحرك المشاعر ، وتدفع هذه القوى الروحية نحو الغاية الكبرى .

ولقد شاءت العناية الإلهية أن تختار هذا القائد من جهة وهران على الحدود المراكشية ، ففي سنة ١٨٣٢ قامت سرية من المجاهدين عقد لواؤها للسيد عبد القادر بن زيان ، بحركة كشفية حول أرباض المدينة ، وفي موضع يقال له خنق النطاح ، التقت السرية بفصائل العدو ، واشتبكت معها في معركة تعرضية ، وفي اليوم التالي أدركتها حشود المجاهدين ، فدخلت القتال مترامية

زاحفة ، فانتصرت انتصاراً باهراً ، وفر العدو منهزماً متراجعاً إلى مدينة وهران .

وفى وسط المعركة ظهرت مخايل النجابة والبطولة والقوة والفتوة على الشاب عبد القادر بن السيد محيى الدين الذى ما انفك مع والده يحرض المسلمين على الجهاد ويبوىء القاتلين مقاعد للقتال . كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد عرف الناس فيه الحزم والعزم والعقل السليم والصبر فى القتال ، فجاءت المعركة فإذا بالشجاعة وقوة البأس تظهران عليه ، وهو يخترق الصفوف ويباشر القتال بيديه لنصرة دين الله . وبينما هو يخوض وسط المعمة تحامل عليه فارس من فرسان فرنسا برمحه فإذا بالطعنة تمر تحت إبطه الأيسر ، فشد عليه عبد القادر بعزمه وقوته وهوى بسيفه على الفارس ، فإذا بالسيف يقطع كتف الفارس نصفين ، فكانت آية من آيات الله تناقلها الناس وسرى ذكرها بينهم . .

وتلقى جواده ثمانى طعنات ثم أصيب بالرصاص تحته فنزل وترجل واستمر يقاتل فى مواجهة العدو وهو على قدميه ثابتاً فى مواقعه حتى جاء النصر من عند الله ، وتقهقر العدو منهزماً لا يلوى على شىء ، وبات المسلمون ليلتهم بين التهليل والتكبير .

هذه بداية القائد الشاب بطل الاستقلال الجزائرى وصاحب المواقف الخالدة بين سنتى ١٨٣٢و١٨٤٧ ، الذى تمثل فى عبقريته عراك أمة وكفاح شعب يقاتل فى سبيل مثله العليا والذى أمضى ستة عشر عاماً فى الحروب لم يدع فيها القتال والتصادم والكر والفر دفاعاً عن حومة الدين وعن حرية الوطن الشهيد .

ظهرت فيها صفاته وميزاته للقيادة والزعامة وضرب للناس مثلا بتمسكه بالمبادىء والأهداف التى قام من أجلها ، فأسبغ عليها عملا متواصلا لا يحيد عنه ولا يرجع ، وبرزت نفسه القوية التى لا ترهبها الأهوال والنكبات ولا تغيرها الانتصارات المتتابعة ولا تنقص من حماسها النكبات والهزائم .

ستة عشر عاماً من المعارك المتواصلة لا تتخللها غير فترات قصيرة من السلم والراحة أفردها للتنظيم والإنشاء والدعوة إلى الله والعمل لبناء دولة ناشئة ألقيت أعباؤها عليه بأكلها ، إذ واجه مشاكل السياسة مع مصاعب الحروب ، وعالج الهزائم والدسائس ، بنفس عالية فيها قبس من أخلاق السلف الصالح وفيها تلك النواحى القوية التى أفرغها الإسلام على قواده وزعمائه من قوة أمام الأخطار وصلابة فى الحق وتمسك بالعروة الوثقى ، مع تواضع وصبر على المكاره وحوادث الزمن .

كان هذا فى وقت عصيب واجهت فيه الجزائر أكبر محنة فى تاريخها يوم دعيت وحدها للدفاع عن أراضيها ، ويوم ضعفت النفوس وتفرقت القوى ، وبين عناصر متشاحنة وقبائل متنافرة وهنا ظهرت شخصية عبد القادر كنشىء دولة ، وقائد جيش ، وزعيم أمة .

إن عظمة عبد القادر لا تظهر فى انتصاراته وحدها وإنما فى تغلبه على متاعبه وفى شجاعته وسط الهزائم والدعوة إلى الانشقاق والخيانة وفى مواجهة دعاية الويل والهزيمة ، وزمرة المنافقين والطفيليين ومن لازمهم ، هنا تعلو حيوية عبد القادر على الحوادث حينما تراه مجاهداً لا تهمد عزيمته وسط الأخطار وأمام مكائد العدو والبحر مغلق أمامه والعالم الإسلامى يغط فى نومه ، فلا يخفف عنه إلا ذكر الله والدعوة إليه وإيمانه بأن إرادة الشعب الجزائرى قد تمثلت فى إرادته وأن الله قد اختاره لعمل كبير هو إنقاذ هذه الأمة وقيادتها إلى الجهاد فى سبيل الله .

تقلب صفحات تاريخه وتسمع أقوال الخصم عنه وتنصت لنظمه وشعره وتقرأ رسائله فتلمس رجلا قد أوتى حظاً من الإيمان والثقة بالله مما جعله فوق المستوى العادى للرجال . كان ممن اختارهم المولى جل وعلا لعمل خالد فقد كان يعلم بأن أمامه دولة قوية قد أفرغت فى القتال كل قوتها وصممت على فتح بلاده واستعانت بما أخرجه الفن والعلم فى الحروب وقد خرجت من تجارب حروب ومعارك ، ومع ذلك وقف وقفته وكان يشعر بأن أعداءه فى داخل بلاده لا يقلون خطراً عن أعداء الوطن ، فتقبل بالرضا حكم الأقدار وقاد بلاده هذه السنين وهو واثق من نفسه لا معين ولا حليف له ولا أمل لديه إلا همة السيوف التى خرجت من أغمادها ووقفت معه .

نعم فى وسط المكائد والهزائم والدعوة إلى الهزيمة تعلو قوة عبد القادر فتخلق من الهزيمة قوة وتدعو إلى الله وتعمل على جمع

الشمل فيقود الأمة الجزائرية إلى كفاح طويل إلى المجد .

ذلكم هو بطل الاستقلال الجزائرى وأول مسلم تلقى بصدره حلقات الهجوم المضاد الذى شنه الغرب علينا لانتزاع أراضينا .

حينما أكتب عنه أستعيد ذكرى حادثين أثراً فى حياتى ، أما الأول فصورة زيتية للامير عبد القادر رأيتها فى السوق الخيرية التى أقيمت بحديقة الأزبكية لنصرة المجاهدين من أهل طرابلس لما اعتدت إيطاليا على أراضيهم ، رأيته على جواده وقذائف المدافع تنفجر من حوله فوقفت مأخوذاً وكنت فى العاشرة فإذا بصاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف يحدثنا عن بطل الجزائر ؛ ومن ذلك اليوم انطبعت فى نفسى صورة القائد الزعيم وحرصت أن أقرأ عنه وأتعرف إلى معاركه وأيامه .

أما الحادث الثانى فيوم وقفت على قبره تحت قبة سيدى محيى الدين بن عربى بمدينة دمشق ، لقد كان الشوق إلى زيارة الضريح شديداً طوال سفرى من أنقرة ، ولما تم اللقاء وقفت أمام هذا القبر استمطر الرحمة على بطل الاستقلال . ومرت أمامى صفحات الجهاد وأسماء البلاد : الجزائر ، وهران ، قسنطينة ، تلمسان ، المعسكر ، مستغانم ، البليدة ، مليانة ، وذكريات المعارك الخالدة فى رأس العين وخنق النطاح ووادى الزيتون وغيرها من مواقفه .

وفى باريس صورتان كبيرتان تمثلان عراك الأمير وجنود فرنسا تقتحم الصفوف أعرفهما : قيل أن الأمير وقف أمامهما عند زيارته للعاصمة الفرنسية وقال أراكم تمثلون جنودنا منهزمة ، فهلا نظرتم ورسمتم المعارك الكبيرة التى ولى فيها جنودكم الأدبار؟

وفى قصر العجزة حيث متحف الجيش الفرنسى نجد الآثار والأعلام والأسلحة من بقايا حروب عبد القادر لقد كنت ألمسها ثم أقبل يدى التى لمستها وأنحنى أمامها وأقول هل أعيش لأرى الجزائر حرة وقد خلعت استعبادها وأسمع أناشيد الأمير من مقصورته اليائية ترتل فى مدارس القطر الشهيد :

ونحن لنا دين ودنيا نجمعها ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللوا
وإنا سقينا البيض فى كل معرك
دماء العدى والسمر أسعرت الجوى

***

أريد أن أشرح معاركه وأكتبها ليقرأها أبناء مصر العربية ويروا آيات المجد والبطولة ولكن الزمن يسير بخطوات سريعة ، وأريد أن أحدثهم عن يوم تجمعت فيه أحكام القدر فألقى البطل سلاحه واستأمن للخصم على أن يذهب للاسكندرية فخنثت فرنسا بأيمانها ومواثيقها وعهودها وقادته أسيراً إلى فرنسا حيث أمضى مع والدته العجوز وأهله خمس سنوات فى الأسر يحن فيها إلى البلاد التى أراد دفع الشر عنها ، ثم أطلق سراحه فإذا طريقه إلى دار الخلافة حيث يلتقى السلطان عبد المجيد العثمانى ، وبعد إقامة يسيرة فى بروسة ، يذهب إلى دمشق ، وهناك يعيش حتى يرقد رقدته ليترحم عليه محبوه . أما أنا فقد قرأت حين وقفت على ضريحه قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » . آل عمران

ذلك لإيمانى أن أمة تنجب عبد القادر لن تموت بل ستبعث بعثاً يهز الأرجاء ؛ لأن الدرس الذى ألقاه علينا كان درساً يحرك النفوس ويدفع للعمل لقرون قادمة : إنه قوة من قوى الذات الإلهية التى بعثها لخير الناس ، ولما خطه تعالى فى سجل القدر من أن تحيا الأمة الجزائرية لتعود إلى أيامها الأول ، أيام المرابطين والموحدين .

أحمد رمزى

على ثلوج (حزِرين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٤ —

انطلقت إلى (الصخرة) حين لم تجد فى دنياها كلها، أحنى عليها منها، وأروح لقلبها. لقد كانت ملاذها والحبيب راض مواصل، والقصر عامر زاهر، أفلا تكون مثابتها وقد غضب الحبيب، وأقفر القصر، ولم يبق لها فى الوجود غيرها؟

ولمن تلجأ وقد فقدت صدر الأب الذى كانت تهرع إليه كلما دهمها من الحياة دهياء لم تستطع احتمالها، فتخفى وجهها فيه، وتبثه شكاتها ألماً خفياً، ونشيجاً خافتاً، فيمسح دمع عينها، ويرقأ جرح قلبها، ويرجع إليها سكينة النفس، وفرحة الحياة. وفقدته إلى الأبد، حين احتوته تلك الحفرة الضيقة على شفير الوادى؟.

ولمن تلجأ وقد أغضبت الحبيب، الذى نما حبه فى فؤادها، وخالط لحمها وعظمها، ونشأت عليه، وعاشت به، وكان منبع ذكرياتها، ومجمع آمالها، وغذاء روحها؟

ولمن تلجأ وما فى القصر ملجأ ولا ملاذ ... لقد أقفر من بعد سيده، وضل طريقه إليه المجد، وانصرف عن أبوابه العافون والزائرون، حين انصرف عن مطالب النبل إلى مطارح الهوى ومشارب الخمر، سيده الجديد.

انطلقت إلى الصخرة، وقد علمت لما تيقظ فى نفسها الحب أن كل مافى الدنيا من متع المال ونعم الغنى، هو للمحب كأحلام النائم، لا يجد فى يده إذا صحا حبه شيئاً منه، وأنها كموائد الرؤى يفيق الرائى فلا يلقى لها فى معدته أثراً، ولا فى جوارحه خيراً وماذا يفيد العاشق فَقَدَ الحبيب أن يخطر بغالى الثياب، وأن يأكل أطايب الطعام؟ وهل تدفىء الثياب قلباً فيه رغبة إلى دفء القلب المحب؟ وهل تشبع الموائد نفساً فيها جوع إلى ثمر الثغور، وظمأ إلى رحيق اللمى؟

ولقد علمت الآن أن صخرة منقطعة مع الحبيب أجمل من قصور الأرض، وساعة معه أطول من سنى الدهر، ونومة على نفخه أحلى من نوم على وسائد الحرير بريش النعام على سرير الذهب وشمة منه واحدة أطيب من انتشاق العطور، وأن خفقات قلبه عند العناق أعذب من رنات الميدان، وعبقريات الأغانى ...

ولما دنت من الصخرة نعش نفسها نسيمها، وشفاها مرآها وأحست بعد حياة (الحضارة ...) فى عاليه، أنها كالغريق يخرج من الماء، وينشق الهواء، ونظرت إلى قصر فارس افندى فلم تره إلا نقطة ضائعة فى هذه الـفـوح التى تمتد وكأنها لا آخر لها حتى تتصل بالبحر ثم يصلها البحر بالسماء ... فأحست أن قد صغر مكانه فى قلبها كما صغر منظره فى عينها، ولم تعد تذكر إلا أماسى الحب وليالى الوصل، عند هذه الصخرة التى قدسها الحب

ووجدت هانى قائماً، فأسرع إليها وأسرعت إليه، وألقت بنفسها بين ذراعيه، ما أحست وسخ ثيابه، ولا شمت قبح ريحه إذ لم يدع لها الهوى أنفاً يشم، ولا عيناً ترى ...

وسكرت من رحيق الغرام، وخيل إليها السكر أن لها هذه الدنيا كلها التى تبصرها تحت قدميها، وأنها أسعد فتاة فيها. وأنها قد أمسكت بكفها الأمانى، وقبضت على الأحلام ...

فانتصبت والهواء ينثر الحرير الذهبى من شعرها، ومدت يديها وصاحت نشوى:

— املأ يدى من (أزهار الجبل)

فراح يقطفها ويملأ منها يديها.

* * *

وهبط الليل رفيقاً حانياً، فأحاطها بذراعى أم حنون ورد عليهما كل همسة حب كان قد سمعها منذ مر على الدنيا، وكل وسوسة قبلة وطلع الهلال رقيقاً زاهياً فمرض عليهما كل مشهد غرام رآه منذ ولد القمر، وكل منظر هوى؛ فلم يجدا فى حديث الليل، وصور القمر، إلا ناريخهما هما، وقصة حبهما، وأفقر قصة فى الحياة قصة الحب، فهى تتكرر دائماً بمشاهدها وفصولها، لا يتبدل فيها إلا أشخاص الممثلين.

قصة ألفها هذا الطفل الجبار فضاق به الخيال، وقعد به العجز، فلم يستطع خلال ألف قرن من الزمان، أن يزيد عليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً، فهى تمثل فى غابة بولونيا وفى مسارب هايدبارك كما كانت تمثل فى منارات سرنديب، وكهوف بابل.

وهو أبداً يعبث بالحب ويسيّره على هواه ، ويضيق عليه دنياه حتى يجد صدر الحبيب يسند إليه رأسه أوسع من رحب الفضاء وأفسح من جو الأماني ، ويسوّد عليه عيشه فلا يبيض إلا إن بدت فيه طلعة الحبيب ، ويزهده في المجد والجد ، فلا يجدّ إلا لوصوله إليه ، ولا يرى مجده إلا في رضاه عنه ... حتى إذا ملّ العبث ، عاد فنام ...

* * *

وعادت ليلى إلى القصر وقد نام الحب في صدرها كرة أخرى واستيقظت فيه شياطين اللهو والترف . . وجاء أسعد يزورها واشتهت أن تلبس الثياب التي أهداها إليها . ما آثرت جمال الثياب على متع الحب ، ولكنها كانت كالغني يأكل الحلوى حتى يشتهي الزيتون ، ويسكن القصر حتى يستحلي الخيمة ، ويركب السيارة حتى يتمنى ركوب الحمار ... هذه هي النفس البشرية ، يطغيها الغنى وينسيها لذةَ النعمة وجودُها ، ولا تعرفها إلا عند فقدها..

لبست الثياب ونظرت في مرآتها ، ومرآة الحسناء من أدوات شيطانها ، فرأت في مكانها فتاة من فتيات بيروت ، وأعجبها جمالها وهذا الصدر البادي إلى سفح النهدين ، وملتقى الثديين ، وذراعاها إلى الكتفين ، ونظرت إلى ثيابها الجبلية التي نضتها عنها ، والتي تستر كل شيء إلا الوجه ، كما ينظر المرء إلى دودة كانت عالقة به وتخلص منها ، وأحست في نفسها الشوق إلى الاطراء الذي ألفته في (عاليه) أذناها ، وترقبت قدوم أسعد ، واستطالت الوقت في انتظاره . .

ثم رأته يفتح الباب ويدخل ، فتهيأت لاستقباله ونظرت فإذا القادم هاني ..

وعاد الخصام ولكنه كان شديداً عنيفاً هذه المرة . .

قال لها :

— ثقي يا ليلى أنك لا تحبينه ، وإنما تحبين مظاهر الترف

— قالت : وأنت ما شأنك بذلك ؟ ولماذا تدخل نفسك فيما لا يعنيك ؟ . .

وامتد الجدال وأطلق لسانه في أسعد .

— فصاحت به : هو خير منك على كل حال . إنه خير ممن يسأل الصدقة بيد قذرة ..

خدعتها ظواهر الحب الناعمة فنسيت الرجولة الخشنة الكامنة وراءها ، فلم تقدرها ولم تحسب حسابها ، لعبت بالقنبلة لما غرها بريقها ولمعانها ، فلمست زرها فتفجرت ، لقد انقلب لما سمع هذه الكلمة من سبع الملعب (السرك) الأليف ، إلى أسد الغاب الضاري ، لم يعذرها ، ولم يضع نفسه في مكانها فينظر ماذا يصنع وهو في مثل حالها النفسية ، وهاله أن تترفع عنه وكان يراها مثله ، لم يجد نفسه دونها لأن الحب سوّى بينهما ، والحب (مذ كان الحب) مظهره البذل وحقيقته الأخذ ، ورداؤه الإيثار ، وجسمه الأثرة ، وكان يحتمل منها كل شيء إلا أن تمسّ رجولته ، كالمرأة تحتمل من الرجل كل شيء إلا أن يحقر جمالها وأنوثتها ، ولم يعد يرى أمامه الفتاة التي ألبسها حبه ثوب الملَك ، وحوّطها بهالة التقديس ورآها منال الجمال وغاية الآمال ، ولكن امرأة من النساء تهينه ، وهو الرجل المعتد برجولته ، وهو الذي لم يحمل المهانة من أخيها إلا حباً بها ، واشتعل دمه ناراً ، وجنّ قلبه في صدره ، وأراد أن يتكلم فشعر كأن لسانه قد وقف ، وحلقه قد جف ، ولم يع على نفسه إلا ويده ترتفع وتهوى على وجه ليلى بلطمة دوّت في أذنيه كأنها طلقة مدفع ، فصحا فجأة ، وهاله ما فعل ، فانطلق هارباً إلى الإصطبل ، وخلا بنفسه يفكر فيما صنع .

لقد أفرغ غضبه في هذه اللطمة فلم يبق في قلبه إلا الحب ، وما يتبع الحب من تقديس ، فكيف فعل هذه الفعلة ؟ وهل فعلها حقاً ؟ هل لطم محبوبته التي يشتري اللمسة منها بالحياة ، ويدفع عنها بروحه مسّ النسيم ، وشعاع الشمس؟ أيكسر الوثني صنمه ، ويبصق المجوسي على ناره ؟

وصارت يده أكره شيء إليه ، هذه اليد التي هدمت مستقبله ، وطوّحت بأمانيه . وملكته نوبة هياج ، فضرب يده بالنافذة ، فحطم زجاجها ، وأطار شظاياها ، وغسل كفه بالدم

قالت العجوز :

وسمعت الضربة فأسرعت إليه ، وقلت له :

— ما هذا ؟ ماذا صنعت بنفسك ؟

وخرجت لآتيه بضماد ، وإذا أنا بليلى ، تدخل عليّ بثياب الدنية ، متوثبة فرحى ، تقول :

— اسمعي ، اسمعي البشارة ....

— قلت : أى بشارة ؟

— قالت : لقد خطبنى ، إنه سيتزوجنى .

— قلت : من ؟

— قالت : أسـعد ، لقد أعلن خطبته لى الآن ، وقال : إن أباه موافق وأخى …

— قلت : وهل تحبينه يا ليلى ؟

وسكت ، وحبست أنفاسى فى انتظار جوابها ، لأنى أعلم أن هانى يستمع إليها ، فأحببت أن أذكرها بحبها . ولـكن الحمقاء اندفعت بلا وعى ، تصيح :

— إنى أحبه ، أحب الأرض التى يمشى عليها ، أحب الهواء الذى ينشقه ، أحب …

وسمعت الباب يصفق …

— قالت : ما هذا ؟

فلم أشأ أن أخبرها ، وتريثت وسألتها :

— أتحبينه أكثر من هانى ؟

فتنبهت كأنها كانت فى حلم وأفاقت منه على الحقيقة ، وتصورت حياتها بغير هانى فلم تجد فيها شيئاً جميلا ولا بهيا ، وهل الحياة إلا الذكريات والآمال ؟ وهل لها ذكرى حلوة إلا معه ، وهل لها أمل إلا فيه ؟ وإذا هى تركته وتزوجت أسعد فهل يترك حبه قلبها ؟ هل يذهب من ذاكرتها ؟ ألا تذكرها به صخرة الملتقى كلما نظرت إليها ، والليل كلما اشتمل عليها ، والقمر الذى كان يرعاهما ، والسماء التى كانت تصغى كواكبها لنجواهما ، والبحر الذى كانت تستمع أمواجه إلى أحاديثهما ، والتلول والوهاد ، والنسيم العليل ؛ والثلج وأزهار الجبل . ؟

والتفتت إلىّ فجأة ، وقالت :

— كلا ، لست أحبه ، أحب هانى . إن هانى هو حياتى ، إن الفقر معه هو الغنى ، والجوع معه هو الشبع ، والسجن معه جنة الأرض .

— قلت : فلم إذن ، زعمت أنك تحبين أسعد ؟ لقد سمع هانى منك تلك الـكلمة ، وفتح الباب ، وألقى بنفسه يائساً فى خضم الليل …

— قالت : ما ذا ؟ ! أسمعنى هانى ؟ !

وشخصت لحظة وقد جمد تفـكيرها ، فما يسيل ، ووقف عند هذه النقطة فما يتحرك .

أهى تحب أسعد ؟

فما هذه الكلمة التى نطق بها لسانها فى غيبة قلبها ، وزورها على نفسها تزويراً ؟ :

أهى تحب أسعد ؟ ومن أسعد ؟ وما ذا بينه وبينها ؟ ما يربطه بها ؟ وهل تنسى هانى وعهود الطفولة ؟ ألم ترضع هواه مع اللبن وليدة وتنشأ عليه ؟ ألم تسلك معه طرق الحياة سهلها ووعرها ؟ ألم تأكل معه على مائدة الحياة حلوها ومرها ؟ ألم تشاركه أفكار الحياة خيرها وشرها ؟ أفتهدم سعادتها كلها بكلمة رعناء … أنفخة فى الهـواء تقتلع صرحاً ممرداً ثابت الآساس ، رفيع الشرفات ؟

ووثبت إلى الباب ، ففتحته واقتحمت الظلام .

* * *

وكانت ليلة قارسة البرد ، عاصفة الريح ، جنت فيها الطبيعة فهى تضرب بيديها ، وتنثر البرد والثلج ، وتلطم الوجوه والبنى .

فخرجنا وراءها نناديها … وهى تعدو متحدرة ، تثب على الصخور وتقفز إلى الأعمـاق ، تنادى : هانى . هانى . فيضيع صوتها فى عوبل الرياح ، وعزيف العواصف ، ثم انقطع الصوت وخفى الشخص ، وضاعت منا ، فلم نجدها …

ورأينا أخاها مقبلا سكران ، فخبرناه ، فقال :

— سأشرب كأسا أخرى على هذه البشرى . وقهقه كأن إبليس يضحك بفيه ، وأمَّ القصر ، ولبثنا نفتش حتى بدا الصباح فإذا هى ملقاة فى حفرة ، قد علاها الثلج ، فتعاونا حتى حملناها إلى دار أسعد فى عاليه ، لتلاقى ناساً يعتنون بها ، وطبيباً يداويها …

أما هانى فلم يعد ولم نسمع عنه خبراً …

(البقية فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

العيـــــد !

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

تمر أيام العام مسرعات والناس فى شؤونهم الخاصة من زحمة العيش وتلمس الرخاء ، والضيق والرغبة فى الفرج ، والسقام وأمل الشفاء ، ويأتى العيد فيكون بين المعيد ووسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل وهشة الرجاء وتطاق الوجه . ولقد تنحبس العبرة طول العام من نكبة نازلة فلا ترسل إلا فى مقدم العيد مطلقة غير مقيدة ، فتأخذ فى العيد روعة وشكلا ليسا من شأنها ولا من شأن الأيام الأخرى . وهكذا تصبح جهشة العيد جهشة مزلزلة ، وتغدو دموع العيد جد حرار . ولقد تبقى البسمة خامدة كابية طوال العام أيضاً لا ترى مارسلها مجلوة مشرقة حتى يأتى العيد ، فإذا البسمة تاج على الثغر — كالجديد من الأكسية — تتحدث للوسادة عن النصر الذى أحرز ، والعمل الذى أنجز

هذه بسمة العيد ليست من ابتسامات العام ، وهذه جهشة العيد ليست من دموع الحول ، إنما هى فى الحالتين محصل ما فى العام كله من شدة ورخاء ، وعذاب وهناء ، وعزة وشقاء ، تجتمع فى العيد كما تجتمع أضغاث المنى على الثغر الحالم ، وأضغاث المال فى ثوب جديد وكساء جديد ، كذلك مشاعر النفس وأضغاث خويصاتها تتجمع لتبرز فى العيد فى فرح جديد وحزن جديد .

وضجعة الإنسان ليلة العيد وسهوم فكره ، واتساع مخيلته وشرود ذهنه ، تتسع وتقصر ، وتكبر وتضيق ، بمقدار ما توافر لديه من أسباب وعلل تجتمع كلها فى حقيقتين أساسيتين فيهما جواب هذا التسآل الذى يدور على الخاطر ويلم بالنفس : وهو لماذا تنطرى نفس وتبتهج للعيد ، وتأسى نفس وتضيق له ، وتذرف فيه الدمع ويحلو لها الصمت والأشجان ؟

تتسع مادة الحوار بين المرء ووسادته ليلة العيد بسمة الجواب على هذا السؤال . والواقع أنه سؤال فى منتهى الوجاهة وخفة الظل : لماذا تأسى نفس وتفرح نفس وليس بين النفسين إلا قربى وأوجه شبه ... هذه نفس تذرف الدموع ، وهذه نفس توزع الابتسام ؟

العيد يفرض على المعيدين مشاعر خاصة هى التى تعلل هذه الظاهرة ... ظاهرة الحزن الجديد والفرح الجديد ...

العيد يقوم من جهة بدور العدسة المكبرة تتراءى ما بعدها من المرئيات كباراً غلاظاً باذخة الأطراف شامخة الهامات ، ويقوم العيد من جهة أخرى بعقد مقارنات سريعة عاطفية بين المرء والمرء وبين المرء ونفسه ، فمقارنة بين خائب ومصيب ، وبالغ ومقصر ، ومقل ومكثر ، وغنى وفقير ، وجائع وشبعان ، تنتهى بهذا الإحساس الذى نحن بصدده من الشعور

يصاب الإنسان بما يصاب به من لغوب هذه الحياة ووعثائها ، فإذا وافى العيد ، وكانت النعمة التى لديه لا تزدهيه فى سائر الأيام ازدهته فى ذلك اليوم ، لأنه ينظر إليها من خلال العيد فيراها كبيرة باذخة فيرتاح لها ويبتهج ، أما إذا كان ما بين العيد والمعيد حزن وألم ، فإن هذا العيد لن يُرى صاحبه إلا ألماً كبيراً .

أما المفارقات ، فأمرها أشد ووقعها أمض ، مقارنات يعقدها العيد بين شخص وشخص ، وبين شخص ونفسه ، فى زمنين مختلفين ، هذان أليفان آض ما بينهما كلاماً فى غير دقة ، وسلاماً فى غير رقة . وهذه قلوب كانت تحن ، فأضحت تئن . وهذه مسكينة كانت فى العيد السالف فى كلاءة أبوين ، فصارت فى هذا العيد سطراً فى كتاب اليتم ... وهذه أم كان لها فى العيد السابق فتى يملأ دنيا أحلامها بأشتات المنى فاحتسبته وأقامت تندب ذكراه . وهذا أب اغتالت المنية وحيده فتركته لا يقدر على شيء ، وهذا فتى فى ميعة الصبا كان وثيق التركيب جميل المظهر ، ولكن العيد وجده فى مخالب المرض ينفث نفسه وينتظر رمسه . وهذه أمة كانت بالأمس الدابر تملأ حيزاً ومكاناً ينظر إليها الناس أمة فأصبحت أمة ... كل هذه مقارنات يأتى بها العيد بين شخص ونفسه فى زمنين مختلفين تملؤها غصة وشكاة ودموعاً .

ولقد تكون المقارنة بين شخص وشخص ، فينظر الطفل الفقير وقد عرف الفقر وعرفه طوال العام ، ينظر إلى الثوب المتواضع الذى أنفقت فيه أمه جهد شهر فى الخدمة ... ويقارنه بالثوب المترف الناضر الذى يرتديه غيره من الأطفال فيستشعر

لأول مرة فى العام خفقة الألم . وينظر الجائع وقد عرف الجوع وخبر بلواه إلى الشبعان الذى عرف التخمة وخبر بلواها ، فيناله من مقارنة العيد ألم جوع وألم غضاضة ، وينال الآخر لذة شبع ولذة مكاثرة !

وينظر اليتامى فى الملجأ إلى هيا كل أجسادهم ومعدهم ، وقد كانت ثياب هذه الهيا كل طول الحول قطعاً من فضل المحسنين ، وهذه المعد طول العام وعاء للخيرات ... ولكن العيد يرسل إلى هؤلاء مقارنة بينهم وبين سواهم ممن رداؤهم قطعة واحدة من يد محسنة واحدة ، فتأبى الأنفس وتذكر فى سبيل المقارنة ما فاتها .

هكذا تتقد اللوعة ، وهكذا تزداد الشكاة فى العيد ، وأولئك الغلف قلوبهم لا يعلمون أن فى الناس من يذوق طعم الموت وهو حى . وهكذا يجد الواحد منا كيف تتعاقب الأيام بالسراء والضراء فيفيد من هذه وهذه أن الأمور لا تقيم على حال ، وأن وراء الشدة رخاء ، وبعد العناء عزاء ، وأن العبد إن أساء فقد يحسن ، وأن الصبر أجدر من حلم ضائع ورشاد سليب وفؤاد هواء ، ثم يجد الواحد فوق ذلك — وقد خبر النعمة والنقمة — كيف يسلف اليد المحسنة والمساعدة المسعفة ، وينتزع من أحاسيس نفسه وخلجاتها ما يشغف به القلب الذى أضاع الشغاف ، والفؤاد الذى برحت به النوب وتخارمته الأوصاب ، وكل إحسان فى العيد عيد فى الإحسان ، فالمصافحة والابتسامة والقبلة والدرهم وبطاقة العيد والهدية والزيارة والتفقد والتسآل وعيادة المريض والإشراف على موطن الألم من المتألم ، وكفكفة دمعة الباكى ومسح رأس اليتيم كل أولئك كجرعة الماء فى المهمه القفر . . وإن كانت ماء فهى لذى غلة به إليها تحنان ، وله إليها تشوف ونزوع ؛ وهى فى مفهوم الصحراء المهلكة ذهب وفضة وخيل مسومة وأنعام وحرث . والقلوب بالفة ما بلغت من الاختلاف والتمايز لا يؤلف بينها ولا يجمع شتاتها ولا يجعل منها وحدة رصينة مثل رباط الشفقة وصلة المشكلة ، فلقد يصرف فى سبيل توثيق صلة من صلات الود ما يصرف من وقت ومادة . ثم لا تتوثق هذه الصلة كما تتوثق أخرى لم يصرف فيها إلا تفقد وتسآل واشتراك فى محنة . . وهذا العيد يتيح هذه الفرصة ويمكن لمن يريد أن يشترى قلوب الناس . أن يشتريها بأثمان بخسة لا يستطيع أن يحصل عليها فى الظروف الاعتيادية ، لا تفى هذه الفرصة إلا مرتين فى العام توضع فيها هذه القلوب البشرية الخفاقة بالمزاد العلنى يشتريها من كان لديه المال الكافى من العطف والرعاية والحنان ، وإنه فى الحق لنصيب عظيم أن تشترى قلباً بابتسامة وقلباً بتفقد وقلباً بمصافحة وقلباً بهدية وقلباً بدمعة وقلباً بزيارة ... وهذه القلوب مهما ضعفت ومهما كانت ذاوية محيلة ، ومهما كانت منذرة بالفناء فهى تدوم على الأقل خفاقة للعيد القادم يوم تعرض قلوب جديدة بآمال جديدة وآلام جديدة تبتغى شارياً جديداً بعطف جديد وهكذا ...

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح

هذا نداء يجسمه العيد .. وفى الطوق والإمكان أن يلبيه كل ذى كبد فيمود بكبد صحيحة وكبد مصححة يبسم لها لأنه صححها وتبسم له لأنها تعترف بالفضل ، وما بين الابتسامتين من معانى الجمال ما لا يقوم له شىء ويعود ممنى ...

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح

ممنى جديداً كالعيد الجديد بين كل اثنين من العيدين مؤداه :

كلى بكلك ممزوج ومتصل والحادثات التى تؤذيك تؤذينى

لكن مقياس العيد مقياساً أكبر من مقياس المادية .. فلا تقل وقد أدبر العيد كم ثوباً جديداً لبست ، بل قل كم قلباً اشتريت ، وكم كبداً صححت ، وكم ثغراً بالابتسام ملكت ، وكم دمعة حارة من دموع العيد كفكفت . . فذلك أقمن بالإنسانية وأدعى للفخر وأجلب للبهجة وأكثر اتساقاً مع معنى العيد .

منيبة الكيلانى

حول التنويم المغناطيسي (*)

للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني

١ — يذكر التنويم المغناطيسي محاطاً بالغموض والإبهام . فهل هو علم ثابت الأساس ، أم شعوذة وإيهام ؟ وما مدى اتصاله بعلم النفس .

٢ — هل هناك من خطر في تعلمه ، وإن كان هناك خطر فما هو ؟ وهل يتعارض والدين ؟

٣ — ألا ترى أنه يعصف باليقين بنتائجه الخارقة المدهشة ؟

(ج . ع . م)
كوستى السودان

التنويم المغناطيسي ظاهرة طبيعية لا تعد من الخوارق ، فهي كالنوم الطبيعي ، إلا أن النوم المألوف يحدث من الإنسان لنفسه والمغناطيسي يحدث بتأثير شخص آخر . ويسمى النائم في عرفهم «الوسيط» إذا كان متصلا بالمنوم اتصال تجارب وعمل . ويتم النوم المغناطيسي بشروط، الشرط الأول قابلية الشخص أو الوسيط للنوم ، إذ ليس كل شخص قابلا للنوم المغناطيسي . ويمكن ذكره في هذا الصدد أن المشتغلين بالتحليل النفساني ونعني بهم فرويد ومدرسة شاركو في فرنسا بدأوا حياتهم الطبية في العلاج بطريقة التنويم المغناطيسي، ولكنهم عدلوا عنها لأسباب منها أنه ليس جميع المرضى يخضعون للنوم ، ومنها عدم جدوى هذه الطريقة

وهناك بعض الناس يسهل تنويمهم وخضوعهم ، وهؤلاء يكونون خير وسطاء .

وأول من اهتدى إلى التنويم المغناطيسي هو العالم « مسمر » وكانت تسمى طريقته بالمسمرزم Mesmerism نسبة إليه . واشتهر أمره في القرن الثامن عشر ، واختلف الناس في أمره ، وافتتنوا بأعماله ، فكلفت الحكومة الفرنسية العالم الكيماوي لافوازييه أن يبحث هذه الظاهرة العجيبة في ضوء العلم . واستمر افتتان الناس والعلماء بهذا الفن حول قرن من الزمان حتى أصبح مألوفاً وعرفوا أنه لا يثمر نتيجة في العلاج من الأمراض العصبية ، فانصرفوا عنه في أواخر القرن الماضي كما ذكرنا ، وأخذوا بطريقة التحليل النفساني .

والشرط الثاني استعداد المنوم وقوة تأثيره ، وهذا الاستعداد منه طبيعي موهوب ، ومنه صناعي مكسوب : ويكسب المرء قوة التأثير بتدريب نفسه في إلقاء الصوت النافذ الذي يشبه الأمر الصارم ، وفي حدة النظر ، وحسن الهندام ، وبالجملة اكتمال الشخصية في جميع نواحيها بحيث تصبح قوية ، مما لا يتسع المجال لتفصيله …

والشرط الثالث المعرفة بالأساليب الصناعية في التنويم ، كالجلسة الخاصة ، والوقفة المناسبة ، وتوجيه النظر بالعين أو بالكرة المغناطيسية ، وإحداث السحابات المغناطيسية وهي المرور باليدين من أعلى إلى أسفل بالقرب من جسم الوسيط مبتدئا برأسه .

واعلم أن التنويم المغناطيسي يحدث حولنا دون أن ننتبه إليه ودون أن يعرف النومون والمنومون ماذا يجري منهم . فالأم تهدهد طفلها ، وتربت على جسمه بيديها ، وتغني له وتأمره بعد ذلك بالنوم فينام . وكثيراً ما تلاطف قطة في دارك ، فتهدأ ، وتغمض عينيها ، وتخضع لك مادمت تمر بيدك على جسمها . ولهذا كان من الجائز وليس من الغريب تنويم الحيوان . وقد رأيت في السينما ذات مرة شخصا ينوم دجاجة بأن يجمعها على الأرض ويخط أمام منقارها خطا مستقيما فإذا بها تذهب في النوم .

وللنوم درجات أعلاها التخشب

وهم يدربون الوسطاء على قراءة الفكر وهي ظاهرة مألوفة معروفة ، فينقل المنوم ما يريد من أسئلة إلى الوسيط كما ينقل إليه الإجابة أيضاً . وهؤلاء هم طائفة المشعوذين الذين يوهمون المتفرجين أن في مقدرة الوسيط أن تسبح روحه في عالم الغيب فيطلع على المستقبل المخبوء ويعرف أسرار الناس وما تخفي الصدور . وهذا كله وهم وخداع ، إذ ليس في قدرة الوسيط أن يعلم إلا ما يعلمه له المنوم وينقله إليه .

أما النظرية القائلة بأن التأثير الحادث في التنويم المغناطيسي يرجع إلى اتصال الروح بالروح ، فهي نظرية لم يقم عليها دليل ثابت أو برهان قوي يرغم على الاعتقاد به ، أما النظريات التي يأخذ بها العلماء المتثبتون إلى أن يظهر ما يبطلها أو يكون أقرب

(*) وجه إلينا هذا الأستاذ الكريم الأسئلة المرقومة في عدد الرسالة ٧٢٣

منها إلى التفسيرات العلمية ، فهي أولا صدور « سيال » Fluid مغناطيسي بين المنوم والنوم ، ولم يصلوا إلى كنه هذا السيال ولهذا عدل عن الأخذ بهذا التفسير جمهرة العلماء . ونظرية ثانية حديثة تشبه المخ البشري كأنه « بطارية » كهربائية ، أو كجهاز الارسال والاستقبال مثل المذياع ، فكأن ما يحدث بين المنوم والوسيط هو تبادل الرسائل على أمواج الأثير . وأنا شخصيا أميل إلى الأخذ بهذا التفسير .

ولا نزاع في أن فن التنويم فيه عنصر مادي وآخر معنوي . فالعنصر المادي هو ذلك الذي بسطناه من قبل كالنظرات والسحابات ...

وأستطيع أن أشبه جسم الانسان بزجاجة ، وما فيه من لحم وعظم ودم ببرادة الحديد . فإذا مر قضيب المغناطيسي بهذه البرادة انتظمت في داخل الزجاجة وتأثر بالجاذبية . كذلك جسم الإنسان يتأثر بالتيارات المغناطيسية التي يوجهها المنوم توجيها صناعيا فتنتظم ذرات جسمه . ويقال في هذا الباب إن المرء إذا أراد أن يكسب جسمه قوة مغناطيسية فعليه أن ينام ويجعل رأسه إلى الشمال ورجليه إلى الجنوب ، والشمال كما نعلم هو القطب المغناطيسي للأرض ..

وليس في تعلم التنويم أي خطر ، وإنما الأولى أن نسأل ما هي الثمرة التي نجنيها من تعلمه ، وهل تستحق أن ينفق فيها المرء الجهد والزمن ؟ ونقول إن للتنويم ثمرتين ، الأولى في العلاج من الأمراض العصبية ، والثانية في معرفة المستقبل . وقد ثبتت عدم جدوى التنويم في العلاج كما ذكرنا ، ولم يثبت أن الوسطاء يعلمون الغيب . وقد نشط العلماء خلال الحرب الأخيرة يجرون تجارب حديثة تختص بفوائد التنويم ، منها الاستغناء في العمليات الجراحية عن التخدير بالعقاقير ، والاستفادة من التنويم المغناطيسي وما يحدثه من تأثير . ولا تزال هذه التجارب في البحث .

الخلاصة أن التنويم المغناطيسي علم وفن ، له أعظم الصلة بعلم النفس بل هو فرع منه ، وهو على التحقيق فصل من باب الايحاء ؛ فإذا كان العلم بالنفس يتعارض مع الدين ، فالتنويم المغناطيسي يتعارض بطبيعة الحال . غير أنه لا وجه للتعارض بين علم النفس والدين ، بل العلم بها مطلوب للوصول إلى اليقين ، وفي ذلك قال تعالى «وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون» .

ويمكن أن ننقل القضية إلى ميدان أوسع فنقول : هل يتعارض العلم إطلاقا مع الدين ؟ وهذا بحث شغل أذهان الباحثين خلال القرن التاسع عشر ، ثم خفت حدة الخلاف وتم الوفاق أخيرا بين العلم والدين . وهذه النزعة التي نشاهدها الآن في أوربا وأمريكا حيث يسود العلم تبين لنا اتجاه الناس نحو الدين بعد موجة الإلحاد والزندقة .

ومع ذلك يقول بعض العلماء إن التقدم في علم النفس ، وبخاصة في أحد فروعه وهو التحليل النفساني ، من الأسباب القوية التي تصرف الناس عن الإيمان ، لأن هذا العلم يستند إلى المبدأ القائل بالحتمية النفسية determinism psycholog igue ، أي اتصال سلوك الفرد بأسباب محتومة تستقر في نفسه منذ الصغر وبحكم البيئة . فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نحاسب السارق أو القاتل ، لأن الأسباب الدافعة للمجرمين في اعتدائهم لا بد أن تمضي إلى نهايتها فتحدث نتائجها ولا يستطيع المجرم أن يتخلص منها . ولكن هذا بحث آخر لا يدخل فيما وجه إلينا من أسئلة فنكتفي بهذا القدر وفيه الكفاية .

(رأس البر) **أحمد فؤاد الأهواني**

«طاعة» الشـــام !

[مهداة إلى الأستاذ شفيق جبرى]

للأستاذ على حيدر الركابى

أستاذى الفاضل :

نشرت لكم مجلة (العالم العربى) كلمة بعنوان (طاعة الشام) فى عددها الصادر فى اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٤٧ فقرأتها ووقفت أمامها حائراً بين الرد عليها والسكوت عنها . كان يدفعنى إلى الرد أنكم عالجتم موضوعاً خطيراً ومثيراً ، ووجهتم إلى بلدكم الذى هو بلدى تهماً لا يقبلها ذو كرامة . وكان يدفعنى إلى السكوت أنى نشأت على الإعجاب بكم واحترام علمكم والثقة بآرائكم وقلت فى نفسى إن أستاذنا الكبير لا ينطق عن الهوى وإن له من سعة الاطلاع وكثرة التجارب وعمق التفكير ما لا يبقى معه مجال لاعتراض معترض . وأخيراً ترجح عندى التريث حتى تظهر نتائج الانتخابات العامة فى سوريا وهى أكبر محك للشعب : فإذا رافق الانتخاب ضغط وتدخل وسكت عن ذلك أهل الشام سلمت بنظرية أستاذى الكبير ولزمت الصمت وكلى خجل من طاعة الشام ، وإذا حال أهل الشام دون الضغط والتدخل وتقدموا إلى الانتخاب بحرية وميزوا بين الصالح والطالح كتبت الرد .

وظهرت النتائج الباهرة فإذا بى أتناول القلم لأكتب هذا الرد . ولا أخفى عنكم ياسيدى أننى فى سرى كنت أتوقع شيئاً مما حدث وأدعو الله أن يحققه . فإذا تجرأت الآن على مخاطبتكم على صفحات (الرسالة) فإنما أفعل ذلك بدافع من حبى للشام واعتزازى بأهله وشعورى بواجب الدفاع عنهم بالحق كما أنى من جهة ثانية واثق من رحابة صدركم :

زعمتم يا سيدى أن فى خلق أهل الشام « طراوة وتميعاً » جعلتهم يشتهرون بالوداعة وبالطاعة والتابعة . واستشهدتم على ذلك بعبارات قالها بعض رجال التاريخ العربى ثم فتشتم عن سبب هذه (الطاعة) فوجدتم السر فى « طبيعة بلاد الشام ... هوائها ومائها وسمائها وأرضها » ولجأتم إلى (أميل لودويغ) لدعم رأيكم وخرجتم من ذلك كله بأن طمنتم رجولة الشام وأهلها وأشرتم إلى اغتيالات مصر وثورات العراق بما يفهم منه ضمناً أنكم آسفون إذ لم تحذ الشام حذو شقيقتها . وكان بودكم أن تطيلوا البحث لولا أن «المجال لايتسع للتبسط فى الكلام على طبائع أهل الشام» ولولا أن لطف الله و « اقتصرت من هذه الطبائع على واحدة » لقرأنا لكم عن قومكم مالا يبقى ولا يذر ! وختمتم بحثكم بكلام عام عن « تشتت أخلاقنا » وضربتم مثلا عليه تعدد النزعات السياسية بيننا .

أما استشهادكم بالأقوال التاريخية فلا أود أن أتعرض له بأكثر من كلمة : ذلك أن كلام القادة والولاة والمؤرخين الذين نقلتم عنهم إما أن يكون وصفاً واقعياً وفى هذه الحالة يكون منطبقاً على عصر القائل وليس شرطاً أن يكون الخلق الموصوف باقياً حتى العصر الحاضر ، وإما أن يكون الوصف ذاتياً أى أنه وصف للصورة التى كونتها فى نفس القائل تجاربه الشخصية والتى حملته على أن يستخلص حكما عاماً من حوادث خاصة وفى هذه الحالة لا يصح الاستشهاد به .

أما نسبتكم طاعة أهل الشام إلى اعتدال مناخهم : ورقة طباعهم إلى جمال بلادهم فإنه يحوى فى طياته جزءاً من الحقيقة لا كلها . ذلك أن الطبيعة ياسيدى — وسيد العارفين — ماهى إلا عامل واحد من العوامل التى تؤثر فى طباع الناس . ومعاذ الله أن أتعدى على علمكم وفضلكم فأروح أعدد تلك العوامل أو أشير إلى علماء الاجتماع وكتبهم؛ ولا أسمح لنفسى إلا بأن أذكركم — بكل تواضع — بأن الأحداث الخطيرة التى تتعرض لها الأمة ذات أثر قوى فى تكوين طباع أفرادها ، وهو أثر لايقل عن أثر الطبيعة نفسها لا بل قد يفوقه . ومن هذه الأحداث الحروب والكوارث الوطنية والحكم الأجنبى والأزمات الاقتصادية الخ. ولعلكم تعترفون كذلك بأن الثقافة وانتشار التعليم من العوامل الرئيسية . وعلى هذا فإن طبيعتنا الحلوة إن ولدت فى أمزجتنا اعتدالا وفى شمائلنا رقة فإن تلك الأحداث قد أوجدت فينا إلى جانبها قوة الشكيمة وصلابة العود وإن انتشار التعليم قد خلق فينا وعياً وقدرة على التمييز .

وليس مثلكم من يحتاج لمن تضرب له الأمثال عن صلابة

عود أهل الشام وأنتم في طليعة موكب الكفاح والوطنية . ولا أحب أن أحيلكم على كتاب من أبناء فرنسة سجلوا لنا الفخار واعترفوا لنا بقوة العزيمة . بل أدعوكم إلى رحلة زمنية ومكانية نبدأ فيها بالغليان الفكرى الذى ولد ثورة العرب على العثمانيين والذى كان من أبطاله أبناء الشام البررة الذين أدوا ضريبة الدم على مشانق (جمال باشا السفاح) . ثم نسير في ركاب (فيصل) من الحجاز إلى الشام لتشاهدوا الشاميين في عداد أعوانه وجنوده . ونستقر بعد ذلك في ربوع الشام نفسها حيث قام مُلك عزيز قوى عقد العرب عليه آمالهم . وما كان لينهار لولم تتآمر الدول المعظمة عليه . ولعلكم لم تنسوا (ميسلون) وروابيها المخضبة بدماء الأبطال وأنتم تمرون بها في طريقكم إلى مصيفكم الهادىء في (بلودان) وننتقل بعد ذلك في (حلب) وجوارها أيام الزعيم (هنانو) وفي (دمشق) و (الغوطة) و (جبل الدروز) ونحيى معاً التربة التى قدستها أرواح شهدائنا . ثم نتجول في شوارع مدننا وأزقة قرانا ، في سهولنا الخصبة وجبالنا الخضراء ونستمع إلى قصص البطولة والمجد المسطرة على كل حجر وفي كل شبر من الأرض — سطرناها في كل يوم من أيام استبدادنا البغيضة لنسمع الملأ بأننا لا ننام على الضيم . ألا يسمدكم أن تعيشوا ثانية — في الخيال — تلك الأيام الخمسين التى أضربت فيها البلاد من أقصاها إلى أقصاها حتى أذلت الشامخ وأنزلته من عليائه ليمد لها يد الصداقة . ألا يثلج قلبكم أن ترتقوا ثانية — في الذهن — منبر الجامعة السورية لتؤبنوا (هنانو) بمرثية دكت عرش الغاشم وأذنابه ؟ وهل تسمون الإعراض عن مغريات المستعمر في ذلك الإضراب المخيف أو استجابة الشعب لصرختكم المدوية طاعة ووداعة ؟ وتلك السجون التى ملئت فيما مضى بأحرارنا ، وهذه القلاع الحصينة المشرفة على عاصمتنا وسائر مدننا ، هل أقامتها فرنسة خوفاً من طاعتنا ووداعتنا ؟ وهذه المخازى الجنونية التى تركت فرنسة لنا أثرها الوحشى في دار (البرلمان) وفي غيرها من دورنا العامة والخاصة هل تعدونها وثيقة اعتراف منها بأننا كنا طائعين وادعين ؟ وذلك الجلاء الذى تم وهذا الاستقلال الذى ننعم به وهذه المكانة الدولية المرموقة التى باتت فخراً للعرب كافة هل هذا كله من صنع الطاعة والوداعة ؟

كلا يا سيدى ! لقد خانتكم الذاكرة وما أسعفكم التعبير ، ثم أخطأتم في الحساب فما كانت ثورة واحدة بل ثورات ...

لا إخالكم تنكرون ذلك ، وأغلب ظنى أنكم تأخذون على أهل الشام طاعتهم لحكامهم بعد الاستقلال لا قبله وأنكم ترون هؤلاء الحكام « على مقدار من الجهل وكره العلم لا بأس به وحصروا مرافق الدولة في حزبهم وأصحابهم وحبسوا وظائفها على صنائعهم وعبثوا بالقانون وبددوا بيت المال » . إن كان هذا قصدكم وإن صح أن هؤلاء الحكام كما ذكرتم أفما أقنعتكم الحوادث أن الشعب لم يقف منهم موقف الطاعة والوداعة ؟ لقد رفض الشعب اتفاق (بفن بيدو)(1) وغضب على المرسوم (٥٠)(2) وطالب بتعديل قانون الانتخاب وتأهب للوثوب فيما إذا وجهت الانتخابات توجيهاً خاصاً فانتصر على طول الخط إذ اضطرت الحكومة بعد تبنى الاتفاق المذكور إلى نبذه واللجوء إلى مجلس الأمن ، كما أرغمت على سحب المرسوم (٥٠) وعدل مجلس النواب قانون الانتخاب فأصبح على درجة واحدة ، وأخيراً جرت الانتخابات فإذا بها تخلو في الغالب من الضغط والتدخل ، وإذا بنتائجها تدل على أن الشعب لم يكن طائعاً وادعاً . لم تكن هناك طاعة عمياء بل تمرد واع على كل باطل وقد بلغت البلاد بفضل ذلك درجة من التقدم في تطورها السياسى لم تبلغه كثير من الدول التى سبقتها إلى الاستقلال .

هذا ما قام به الشعب . أما رد الطعن على هذه الحكومة في مجالسنا الخاصة وفي مقاهينا فيتلاشى هذا الطعن كما يتلاشى دخان المقاهى في الفضاء « فهو من عمل الخاصة لا العامة — الخاصة التى لا تمثل حقيقة الشعب في خوفها على تمكير صفو حياتها ، في تأنيها وبطئها ، في أبراجها العاجية الرفيعة ، في أهدافها المجهولة وغاياتها الحائرة ، في تذمرها (النظرى) وملاها الأرستقراطى ، في هروبها من الواقع وهجرها ميدان العمل ، في أثرتها وشذوذها .

---

(1) هو اتفاق عقدته بريطانية مع فرنسة في لندن في أواخر عام ١٩٤٥ وقررتا فيه مصير سورية ولبنان دون استشارتهما وأقامتا لهما في البلدين حقوقاً وامتيازات . ولم ينفذ هذا الاتفاق قط .

(2) هو تشريع حاولت الحكومة إصداره في خريف عام ١٩٤٦ ويتضمن منحها سلطات دكتاتورية كتعطيل الحريات العامة ووضع القيود الثقيلة على الصحافة .

في تفرقها وتناقضها .

هل يرغب أستاذنا الفاضل في أن يثور أهل الشام وأن يقتتلوا من أجل سواد عيون هذه الخاصة المترفة ؟ أفلا يرى الصلاح كل الصلاح — بعد الاستقلال — في ذلك التطور الطبيعي وذلك التدرج المحمود وتلك الحركات الشعبية السليمة التي أوجدت لنا مجلساً جديداً للنواب يمثل الأمة تمثيلا هو أقرب ما يكون إلى الكمال ؟ إلا يحوي هذا الوضع في طياته ضماناً كافياً للمستقبل الذي سنتخلص فيه من تلك الأخطاء في الحكم التي أشار إليها والتي لا ينكر وجودها - أو جلها — والتي لا تنفرد بلاد الشام فيها ؟ وما الذي جنته مصر من اغتيالاتها غير فقد رجل مثل (أحمد ماهر) لا يعوض ؟ وما الذي جناه العراق من ثوراته الداخلية غير الخسارة في الأموال والأرواح ؟ .

وتقولون إن في الشام نزعات « فهذا شيوعي وهذا نازي وهذا فاشستي وهذا فرنسي وهذا إنكليزي وهذا تركي وهذا سعودي وهذا هاشمي ، كل واحد على قدر مصلحته وبحسب منفعته ! » وهذا لا ينكر ؛ ولكن الشكوى من هذه النزعات ليست منحصرة في حدود الشام بل تكاد تكون عامة في جميع البلاد العربية ، لا بل في جميع بلاد العالم . ثم إن أهل الشام جديرون بكل تقدير وإعجاب لأنهم في الانتخابات الأخيرة أبعدوا عن الندوة النيابية بعض الأشخاص المعروفين بالنزعات المتطرفة فأصبحت دائرة نشاطهم محدودة . هذا فضلا عن أن مكانتهم في مجتمعهم كانت وما تزال ثانوية وأثرهم في محيطهم كان وما يزال وسيبقى ضئيلا

سيدي الكريم :

أرى أن الوقت قد حان لإنهاء هذا الكلام الذي آمل أن تكونوا قرأتموه بما عرف عنكم من بعد عن الغضب وتشجيع للشباب وحب لكل ما يتصل بالفكر . وإني أرجو في الختام ألا تحرموا وطنكم من ثمرة علمكم وأن تعملوا على قتل النزعات المتباينة بإرشاد أهل الشام إلى الطريق السوي الذي ترون لهم فيه الخير والفلاح .

واقبلوا أصدق عبارات الإعجاب والاحترام .

بغداد
٢٩ - ١٤

علي حيدر الركابي

خواطر مسجوعة :

الحب . . .

(إلى من آمن بالحب ، ومن كفر به)

الحب كما عرفت ، فإن لم تكن على حقيقته وقفت ، فقد استرحت وأمنت ، وخير لك أن تظل كما أنت . فإن قالوا لك إنه رتبة سامية ، وحياة ثانية ، فقل لهم إنه عنيف جبار ، وشواظ من نار . وإن قالوا إنه أوحى وألهم ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، فقل إنه قرين القلق ، وخدين الأرق ، بل الشغل الشاغل ، والداء القاتل !

فمن عرف الحب طاهراً قاهراً ، بات حائراً ساهراً ، يناجي من حبيبه روحاً دانياً ، وشبحاً نائياً ، قانعاً من الحب بروحه لابذاته ، ومن الحب بنيرانه لا بجناته ، وبمازعم أن هذا لا يكفيه ، فاستزاد ربه على ماهو فيه ، فقال يامن خلقت قلبي رقيقاً ، وأصليته حريقاً ، أردني صباً ، فزدني حباً ، وهبني جنوناً هو عندي الهدى ، وفي غيره يضيع العمر سدى ...

هكذا ترى الولهان متفلسفاً في خباطه ، أو مسرفاً في اغتباطه ، فإن خير بين سهاد الشجي ، ورقاد الخلي ، آثر الأول ، كارهاً أن يتحول . ولو وهب أيامه للصبر ، وصحب أوهامه إلى القبر ، فإن ذهبت مذهبه ، وأعجبك ما أعجبه ، وآمنت بأن حياة الحب فناء في رضاه ، فانشد إن شئت في ذلك الموت تلك الحياة . وإن شئت فاهزأ بالحب والمحبين ، ودعهم في نارهم معذبين وحسبك دنيا محدودة الأبعاد ، تمرح فيها فارغ الفؤاد ، ضاحكا بملء شدقيك لا لك ولا عليك !

ولست بشارح لك حقيقة الحب ، فالحب يعرفه من أحب . وإن قدر لك الحب ووقعت ، عرفت ما من شرحه امتنعت !

عامر بحيري

واضع علوم البـــلاغة

رأى ابن خلدون فيه

للأســــتاذ على محمد حسن العمارى

تهيأ للبحث التاريخى أن يهتدى لمولد كثير من العلوم، وأن يتعرف على واضعيها؛ فهو يعين أول من تكلم فى النحو، ويؤكد أن الخليل بن أحمد الفراهيدى هو واضع علم العروض، وأن أبا معاذ الهراء أول من أفرد الصرف بالتأليف ... وهكذا. ولكن أصحاب تأريخ العلوم لا يتفقون على رأى فى واضع علوم البلاغة، ولعل منشأ ذلك كثرة الكاتبين فيها فى أزمنة متطاولة، كما أن تأخر التقعيد فيها وظهورها أول الأمر فى مظهر النقد الأدبى جعل الأنظار تتجه وجهات مختلفة، وستقدم بين يدى بحثنا كلمة عن نشأتها :—

تكاد تتفق كلمة العلماء على أن القول فى البيان كان مبكراً؛ فالخليل المتوفى سنة ١٧٠ هـ تحدث عن الاستعمال المجازى والجناس والمطابقة، وتلميذه سيبويه المتوفى سنة ١٧٧ هـ تكلم عن التقديم والتأخير ومجاز الحذف؛ ثم استفاضت هذه البحوث فيما كتبه الجاحظ (٢٥٥) وأبو هلال (٣٩٥) وابن رشيق (٤٤٧) فكتبوا كتابات ذات بال ولكنها كانت مختلطة بالمباحث الأدبية. فلما جاء عبد القاهر الجرجانى (٤٧٤) وضع كتابين (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) وتحدث فى الأول بإفاضة عن مباحث علم البيان، ومال قليلا إلى بعض مباحث البديع، وخص الثانى بمباحث علم المعانى. وهذان الكتابان من أحسن ما كتب فى هذين العلمين إلى يوم الناس هذا؛ فشواهدهما كثيرة، وأسلوبهما من أقوى الأساليب وأنصعها، وفيهما ميل واضح إلى التقعيد والتقنين. ونستطيع أن نقول أن مباحث العلوم الثلاثة قد تميزت بعد عبد القاهر، فابن المعتز (٢٩٦) ألف كتاباً فى البديع ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها مباحث علم البيان، وأبو هلال ذكر خمسة وثلاثين نوعاً من البديع وبذلك أصبح لهذا العلم كيان مستقل؛ وأما البيان فقد أفاض فيه عبد القاهر فكان صاحبه، وكذلك علم المعانى إذا أضفنا ما كتبه العسكرى، ولو أن علوم البلاغة وصلت إلينا على الحال التى كانت عليها فى عهد عبد القاهر لكانت ذات غناء وجدوى، ولكنها مُنيت بالقيود والأغلال فظلت سجينة فيها حقباً طوالا، وكان ذلك على يد العالم الجليل أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ فوضع كتابه «مفتاح العلوم» وكان صاحب فلسفة فأخضع علم البيان لذهنيته الفلسفية، وقد نظر فيما كتب السلف من بحوث فنظمها فى قواعد جافة كمواد القانون، ومنذ ذلك الحين ودراسة البلاغة لا تعدو هذه الدائرة التى صب فيها السكاكى مباحث البيان والمعانى والبديع، وكذلك التأليف لم يعد أن يكون اختصاراً أو شرحاً أو تحشية على المفتاح أو ما تفرع منه. ونستطيع أن نستثنى بعض كتب قليلة ككتاب الطراز فإن صاحبه لم يطلع على شىء مما كتبه السكاكى فيما يحدثنا عن نفسه.

نستطيع أن نتبين بعد هذا من غير كبير عناء أن صاحب علمى المعانى والبيان هو عبد القاهر وأن صاحب البديع هو عبدالله بن المعتز، وقد بينا على ذلك أمران :

(١) ما كتبه العلوى فى مقدمة كتابه الطراز «وأول من أسس من هذا الفن قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجانى»

(٢) ما كتبه السكاكى فى فصل أخير من كتابه بعد أن تحدث عن عمله فى علمى المعانى والبيان قال «هذا ما أمكن تقريره من كلام السلف رحمهم الله فى هذين الأصلين، ومن ترتيب الأنواع فيهما، وتذييلها بما كان يليق بها، وتطبيق البعض منها بالبعض، وتوفية كل ذلك حقه على موجب مقتضى الصناعة» ثم قال «وعلماء هذا الفن — وقليل ما هم — كانوا فى اختراعه، واستخراج أصوله، وتمهيد قواعده، وإحكام أبوابه وفصوله، والنظر فى تفاريعها، واستقراء الأمثلة اللائقة بها، وتلقطها من حيث يجب تلقطها، فعلوا ما وفت به القدرة البشرية إذ ذاك»[1]

وإذا أردنا أن نعرف من هم السلف الذين تقدموا السكاكى هدانا البحث فى كتابه إلى أن عبد القاهر هو المقدم فيهم، وعليه اتكأ السكاكى فهو يصرح فى موضع من كتابه بفضل عبد القاهر

(١) المفتاح ص ١٧٠ الطبعة الميمنية.

فيقول عند اختلافهم على أن الاستعارة مجاز عقلي أو لغوى « ومدار ترديد الإمام عبد القاهر قدس الله روحه لهذا النوع بين اللغوى تارة وبين العقلى أخرى على هذين الوجهين جزاه الله أفضل الجزاء، فهو الذي لا نزال ينور القلوب في مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليما وإرشادا »(١) وهو يترسم خطاه في مواضع كثيرة حتى لينقل سطوراً من كتبه بنصها ، وأن تأثره به لبعيد المدى وسنفرد هذا ببحث خاص إن شاء الله .

كل ذلك لا يدع عندنا مجالا للشك في أن عبدالقاهر صاحب الفن وممهد قواعده ومهذب مسائله . لكن ابن خلدون هذا الألمعي النابغة جاء برأى في مقدمته أضل بعض الكاتبين بعده ، وهو رأى ذو خطر لأنه يسلب الإمام الجرجاني كل أثر في وضع هذه العلوم قال : « وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثاني ، لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ، ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب جعفر ابن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها ، ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن محض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب ، وألف كتابه المفتاح في النحو والصرف والتعريف والبيان »(٢) .

ولننظر أولا فيما فعله السكاكي حتى نكون على بينة . نظر فيما كتبه المتقدمون فوجد أبحاثاً في النظم والتشبيه والاستعارة وغيرها من مباحث الفن ، ولكنها لا ترجع إلى ضوابط وقوانين ، فكان كل همه أن يقعّد هذه المسائل ويخترع لها الإصطلاحات العلمية ، وهذا المسلك واضح كل الوضوح في عمل السكاكي وفي قوله ، فهو فيما نقلنا آنفاً يقول : « وتوفية كل ذلك حقه على موجب مقتضى الصناعة » . ويقول في موضع آخر : « ثم ما لهذا العلم من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر ، لا ترى علماً لقي من الضيم ما لقي ، ولا منى من سوم الخسف بما منى ، أين الذي مهد له قواعد ورتب له شواهد ، وبين له حدوداً يرجع إليها ، وعين له رسوماً يعرج عليها ، ووضع له أصولا وقوانين ، وجمع له حججاً وبراهين وشمر لضبط متفرقاته ذيله ، واستنهض في استخلاصها من الأيدى رجله وخيله(٣) » .

(١) ص ١٥٧ الطبعة السابقة (٢) ص ٥٥٢ طبعة التجارية
(٣) المفتاح ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

ومع أن صدر هذا الكلام متابعة للإمام عبد القاهر في حديثه عن الضيم الذي لحق هذه العلوم — ولا يزال يلحقها إلى عصرنا هذا — إلا أن آخره يدلنا على النهج الذي سلكه السكاكي . وقد تدهش حين تسأل السكاكي ما هي هذه المتفرقات التي لم يشمر لها أحد ذيله ؟ فيجيبك بأنها علم أصول الفقه ، وعلم الحد ، وعلم الاستدلال . وفي ذلك يقول : « علم تراه أيادي سبا ، فجزء حوته الدبور ، وجزء حوته الصبا ، انظر باب التحديد — فإنه جزء منه — في أيدى من هو ؟ انظر باب الاستدلال فإنه جزء منه في أيدى من هو ؟ بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها ؟ »(١) .

ولا عجب ، فهو يتحدث في كتابه عن تكملة علم المعاني ، فيذكر باب الحد وباب الاستدلال ، وفي ذلك يقول « الكلام في تكملة علم المعاني وهي تتبع خواص تراكيب الكلام في الاستدلال . ولولا كمال الحاجة إلى هذا الجزء من علم المعاني ، وعظم الانتفاع به لما اقتضانا الرأى أن نرخي عنان القلم فيه . اعلم أن الكلام في الاستدلال يستدعي تقديم الكلام في الحد »(٢) ولكنه يشعر أن صاحب علم المعاني لا حاجة به إلى هذا المنطق ، وأنه لن يتقبل كلامه بالقبول فيقول « وكأني بكلامي هذا — وأين أنت من تحققه ؟ — أعالج من تصديقك به ، وبقينك لديه باباً مقفلا ، لا يهجس في ضميرك سوى هاجس دبيبه ، فعل النفس اليقظى إذا أحست بنبأ من وراء حجاب »(٣) . ونخلص من كل هذا إلى أن السكاكي رأى علوم البلاغة غير مضبوطة فضبطها ومتفرقة — في نظره — فجمعها ، وإن كان لم يلحق بكتابه علم أصول الفقه ، والنظرة الفاحصة تدلنا على أن ابن خلدون لم يرد برأيه أن يعطي السكاكي أكثر من هذا ، فإنه أجمل القول في أول الفصل ، وتحدث عن رءوس مسائل علوم البلاغة ثم قال :—

« وترتيب الأبواب على ما ذكرته آنفاً » وهو إنما تحدث عن تمييز هذه العلوم وضبطها ، وحينئذ تسقط حجة الذين يستدلون برأى ابن خلدون ، فلا وجه له ، ولا حجة فيه غير ما ذكرنا ، لكنهم يقولون إن إهماله لعبد القاهر يدل على أنه لا يراه واضعاً لعلوم البلاغة وإلا لذكره مع أصحابه . وهل يراه دون

(١) المفتاح ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٢ و ٣) ص ١٦٢ ، ١٨٣ .

جعفر وقدامة والجاحظ فى أمر هذا الفن ؟ وللاجابة عن هذا افترض أن ابن خلدون لم يطلع على جهود عبد القاهر فى علم البيان والمعانى ويؤكد هذا الافتراض عندى أمور : —

١ — أن كثيراً من أصحاب التراجم لم يترجموا له ؛ فابن خلكان لم يذكره فى كتابه « وفيات الأعيان » وياقوت لم يترجم له فى معجم الأدباء مع أنه ترجم لنكرات كثيرة ، بل لم يذكره فى كتابه إلا عرضاً عندما ترجم لمحمد بن الحسين الفارسى فقال « ثم استوطن جرجان وقرأ عليه أهلها منهم عبد القاهر وليس له أستاذاً سواه »[1] . وكذلك لم يذكره فى معجم البلدان مع أنه نزل جرجان وذكر جماعة من جلة علمائها .

٢ — والذين ترجموا له كالحافظ الذهبى فى تاريخه « دول الإسلام » وكالسبكى فى طبقات الشافعية الكبرى » وكصاحب « شذرات الذهب » وصاحب « فوات الوفيات » والسيوطى فى « بغية الوعاة » لم يذكروا أنه واضع هذه العلوم ، بل لم يذكروا كتابيه فى البلاغة ، ولم يشيروا إلى شئ فيهما .

٣ — ويحيى بن حمزة بن على العلوى أمير المؤمنين صاحب كتاب الطراز (٦٦٩ — ٧٤٩ هـ) — وهو الذى ذكر أن عبد القاهر صاحب هذا الفن — لم يطلع على كتابيه وفى ذلك يقول « وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شئ منهما مع شغفى بحبهما ، وشدة إعجابى بهما ألا ما نقله العلماء فى تعاليقهم منهما » وهو بعد قريب عهد بعبد القاهر ، وفى مكنته أن يبعث من يجوب الآفاق يبغيهما له .

ويبدو أن الكتابين كانت لهما شهرة فى بلاد المشرق ، ومن ذلك أمكن السكاكى والزمخشرى وهما من جرجان ، أن ينتفعا بهما ، كما أمكن سعد الدين التفتازانى وغيره من علماء البلاغة المشارقة أن يتتلمذوا على عبد القاهر فى البلاغة ، أما ابن خلدون فقد انتهى به المطاف إلى مصر ولم يجاوزها إلى المشرق إلا فى رحلته إلى تيمورلنك وهى رحلة قصيرة ولذلك لم يتهيأ له أن يطلع عليهما ، وقد يقال أنه رأى شيئاً منهما فى كتب العلماء ولا سيما الإيضاح للخطيب القزوينى فقد أشاد به ولكنا نقول أنه لم يكن يعرف حقيقتهما ، ولو عرف لكان له مسلك آخر فى تأريخ علم البيان .

ولعل السر فى خمول الكتابين أن الأمام لم يخرج من بلده على عادة العلماء فى الرحلة ، كما كان لشهرته « بالنحوى » أثر فى ذلك ، فقد طغى نحوه الواسع العريض على بلاغته .

وإنا لنأخذ على ابن خلدون أن نسب تهذيب البديع إلى السكاكى ، والحق الذى لا يمارى فيه أن المصطلحات البديعية عرفت فى كتاب ابن المعتز كما عرف كثير منها فى كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى .

على محمد حسن العمارى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

(١) جـ ١٨ ص ١٨٧ ط . دار المأمون .

سمو

للآنسة « دنانير »

أحبك للفن ، يسمو هواك ... بنفسى نحو الرحاب العُلى
فيدنى إليها معانى السماء ... وينأى بها عن معانى الثرى
سموت بقلبى وروحى فراحا ... يفيضان بالشعر ، شعر الهوى
ونضرت عيشى فأمسى نضيرا ... ترف عليه زهور المنى
ورفرف فى القلب حلم سعيد ... جميل الخيالات حلو الرؤى
وقد كنت فى وحشة لا ترى لى
أليفاً يبدد عنى الأسى
فلا النفس يسعدها فيض حب
ولا القلب يسطع فيه السنى
إلى أن تجليت روحاً مشعاً ... كنجم تلألأ لابن السرى
فتضوأت أيامى الحالكات ... وأفعمتها بذكى الشذى
وأحييت نفسى بأسمى هوى ... هو الخلد أو نفحات السما
وأرويت روحى بصوب الحنا ... ن كالروض أرواه صوب الحيا
ومن عجب أننى ما رأيتك ... لكن أحسك روحاً هفا
يحن إلىَّ ويحنو علىَّ ... وينساب حولى هنا أو هنا
إذا ما صحوتُ ، إذا ما غفوتُ
إذا ضجَّ يومى وليلى سجا
رقيقاً شفيقاً كنور الصباح ... زكياً نقياً كقطر الندى
فيا أيها الروح ، ما أنت ؟ قل لى
أأنت من الله روح الرضى ؟
وهل أنت ظل الأمان الظليل ... دنا لىَ من سدرة المنتهى ؟
ترى شعَّ نور الإله بنفسى ... ليجلو الطريق ويهدى الخطى ؟
وهل للملائك ألحان حب ... فأنت بقلبىَ رجع الصدى !
فإنى أحسك روح الرضى ... وظل الأمان ، ونور الهدى
وأصغى لدقات قلبى فأسمـ ... ـع لحناً طهوراً بعيد المدى
يوقعه حبك المستفيض ... فيذهلنى وقعه المشتهى
وتغمرنى سكرات التجلى ... كأن الإله لعينى بدا
إخالك صورة حب كبير ... جلاها لعينى وحى السما
تهيىء روحى لصوفية ... وتنفض عنها غبار الثرى

رمضان

للأستاذ محي الدين صابر

رمضان ... والأيام تذكر ... كيف الرفاق عليك والسمر
صور من الماضى أجمعها ... فتكاد تنطق فى يدى ... الصور
وأكاد ألمح فى معارفها ... كوناً من الأشواق ... ينفجر !!
وأكاد أسمع جنة رجفت ... فى روحها للغيب ... تنحدر ...
تلك المعانى كلما بليت ... فنسيتهن ... يثيرها ... قدر
رمضان ... ما أحلى وأعذبه ... عهداً .. وقد تستروح الذكر ..
فكأن يومك من ... تألقه ... تسبيحة ... أو خاطر عطر
المؤمنون عليك : مبتهج ... يلقاك بالتقوى ... ومصطبر
يمشون إن هرم النهار بهم ... زمراً تزيف ... وراءها زمر
ويجمع الصبيان واحتشدوا ... وترقبوا مسراك وانتظروا
فكأنهم صاموا ... وما فعلوا ... لكنهم بجلاله ... شعروا
حتى إذا قرع الأذان مضوا ... فتصايحوا فى الحى وانتشروا
والخير أفسح فى النفوس مدى ... يهواه من عجزوا ومن قدروا !
والليل كم طاف الجلال به ... فحلا على محرابه ... السهر
من ضارع لله مبتهل ... للنور فى أعطافه ... أثر
أو سامر نثر الحياة به ... فناً ليوم الفن يدخر
أما المآذن فى جلالتها ... فكأنها الآيات والسور
يغشى الأذان بهن ممتلئاً ... عذباً ... فما ناىٌ ... وما وتر ؟
ومسحر طرب ، يهب له ... من ضجعة الأحلام ... مستحر
تتجاوب الطبلات بينهم ... فى الليل ، كالدعوات تنتثر
صحبى همُ ... إن رغوا قدست ... نفسى ولف رحابها طهر
ألقاهم فى الليل ... منطلقاً ... وعلى الطريق إذا هم عبروا
ونقص ما تأتى الحياة به ... ونقول ... ما نبقى ... وما نذر !!
ونرى الحديث يكاد أكثره ... بين الصدى والطبل ، ينطمر
رمضان ... ذلك فى مفاتنه ... فكأنه — مما حلا — ظفر
والعيش ذلك ... فى ملاعبه ... كالخمر تحت الكرم تعتصر
واليوم ... ما رمضان ؟ أبصره ... فكأنه فى خاطرى ... خبر !!
أذهلت فيه ... فيومه سفر ... طولا وما فى ليله قصر
وأكاد أنكره — على ورعى — ... وتكاد عنه النفس تعتذر !!
رمضان كيف يصوم مغترب ... لولا التقى ... ونوازل أخر
مضت الحياة ... وكلها فتن ... واليوم ... إن حياتنا ... عبر !

تعقيبات

الدكتور عبد الوهاب عزام بك :

ذلك رجل جمّله الله بالتواضع ، وكمّله بالعلم ، وزينه بكل فضيلة ، وما ذا ترى فى رجل له فى الناس ألف صديق وليس له فيهم عدو واحد ؟ !

شاعر عربى ينفح شعره بأنفاس الإنسانية ، وأديب كاتب تتجلى فى نثره نفحات العبقرية ، وعالم باحث لا يزدهيه الفخر بغزير علمه ، ولا يدخله الغرور بجزيل فضله ، ولكنه دائماً موطأ الجانب ، يلقى إليك بما عنده وكأنه يأخذ منك ويتلقى عنك ، ثم هو بعد ذلك يتوجه بالشكر إليك …

ذلك هو عبد الوهاب عزام الذى وقع اختيار أولى الأمر عليه أن يكون وزيراً مفوضاً لمصر فى المملكة العربية السعودية ، وإنه لاختيار موفق كسبت به تلك « الوزارة » ، ولن يخسر به الأدب والعلم شيئاً إن شاء الله ؛ ذلك لأن الرجل أديب بطبعه ، وإنسان متفتح الإنسانية ، فصلته بالأدب هى صلة النفس ، فمحال أن تنفك أو تضعف بحال من الأحوال .

إننى لن أكتب عن عبد الوهاب عزام اليوم كما أعرفه ، ولكنى أقتصد ذلك لفرصة قادمة ، وأكتفى اليوم بهذه التحية القصيرة ، وإنها لتحية للأدب والفضل والإنسانية فى شخصيته النبيلة …

هذه المؤتمرات :

فى ٢٣ أغسطس الحالى يعقد فى سورية « مؤتمر الآثار بالبلاد العربية » الذى قررت عقده جامعة الدول العربية . وقد رشحت وزارة المعارف ثلاثة من أساتذتها لتمثيلها فى هذا المؤتمر . وفى ٣ سبتمبر المقبل يعقد المؤتمر الثقافى الأول الذى قررت جامعة الدول العربية أيضاً عقده فى لبنان ، وقد اختارت الوزارة ستة من كبار أساتذتها لحضور هذا المؤتمر

ولعل القراء يذكرون أنى عرضت لهذه المؤتمرات التى تدعو إليها الجامعة العربية من قبل ، وأشدت بما تؤدى إليه من الفوائد والآثار الطيبة ، ولكن الذى يهمنى أن أشير إليه هنا هو أن الجامعة تجرى فى التدبير لعقد هذه المؤتمرات على نهج الحكومات والوزارات التى تأخذ نفسها بالأوضاع الرسمية ، وكنا نحسب أن الجامعة ستجعل من عقد مؤتمراتها واجتماعاتها مجالا يتلاقى فيه رجالات العرب ومفكروهم وأساتذتهم لا أن تكون مجالا لموظفى الحكومات فحسب ، وإلا فإنها ستكون عديمة الجدوى قليلة الفائدة …

لقد كان الواجب على الجامعة أن تترك الحكومات وموظفيها جانباً ، وأن تعتمد فى مؤتمراتها على رجال الفكر الأحرار فتتيح لهم الفرصة للبحث والمناقشة وتبادل الرأى ، فإن هذا هو الأليق بمهمة الجامعة وغرضها فى توثيق الروابط الثقافية ، أما أن تجعل مؤتمراتها قاصرة على موظفى الحكومات الذين تمنيهم الرحلة للنزهة أكثر من الرحلة للعلم فأن ذلك مما يذهب بقيمة هذه المؤتمرات ، وسيذهب أولئك الموظفون إلى تلك المؤتمرات ، ثم يعودون ليضعوا تقريراً عما رأوا وشاهدوا ، ثم تمضى الأيام وتمضى ولن يرى ذلك التقرير ضوء النهار …

وكم ذا بمصر من المضحكات !

فى القرن الرابع للهجرة جاء المتنبى إلى مصر مادحاً لكافور الأخشيدى ، مؤملا أن يجد مقاماً طيباً فى رحاب المصريين ، ولكنه سرعان ماضاق بهذا المقام فهرب ناجياً بنفسه ، وقد أصلى كافوراً والمصريين الهجاء المقذع المرير …

ويقول مؤرخو الأدب : إن المتنبى كان يطلب ولاية من كافور ، فلما أباها عليه لجأ إلى هذا الصنيع الذى صنع ، والواقع الذى يدل عليه شعر الرجل غير هذا ، إنه ضاق بمصر وبالمصريين ، لأنه رأى الأوضاع فيهم مقلوبة : رأى أعجمياً يدرس أنساب العرب فقال :

وكم ذا بمصر من المضحكات (م) ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطى من اهل السواد … يدرس أنساب أهل الفلا

ورأى عبداً خصياً ناقص الرجولة يحكم رجالا من المصريين اكتملت لهم كل صفات الرجولة فقال :

لا شىء أقبح من فحل له … تقوده أمة ليس لها رحم

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!

وقد كان فى إقليمنا واعظ يعظ الفلاحين فيقول: أيها الناس إياكم وتعاطى الحشيش، فإنه ضار مهلك، لا أقصد الحشيش الأخضر الذى تأكله البهائم، وإنما أقصد الحشيش الذى مثل هذا ... ثم يخرج من لفائف عمامته قطعة من ذلك الخدر القاتل فيطلعهم عليها ...

ورد كل هذا على ذهنى وأنا أقرأ كلمة للأستاذ أحمد الصاوى محمد فى «أخبار اليوم» حمل فيها على معالى وزير المواصلات لأنه يشجع جماعة من الشبان الأدباء على إظهار مواهبهم، ويسهل لهم سبيل الظهور بآثارهم، والأستاذ الصاوى يعلم علم اليقين أن التشجيع فى الأدب حافز الظهور والنهوض، بل حافز الخلق والإيجاد، وأن أرباب الأقلام يطالبون الدولة بأداء هذا الحق ويقدرونه واجباً من واجباتها، وأن الأمر فى هذا كما يقول أبو حيان التوحيدى: «ولا بد من فتى يعين على الدهر ويجم راحلة الأمل»! بل إن الناس جميعاً يعرفون أنه لولا تشجيع سيدة بارة كريمة لما كان هذا القلم الذى يشكر اليوم على وزير ما يبذله فى تشجيع شبان أدباء ...

أنا لا أريد أن أدافع عن معالى الوزير، فللوزير قلم مبين، ورأى مكين، ولا أريد أن أدافع عن «أدباء العروبة»، فكل منهم قادر على أن يدافع عن نفسه وعن جماعته، ولكن الذى يهمنى أن يقحم الأستاذ الصاوى فى هذه المجلة بموظف صغير — على حد تعبيره — هو الأستاذ محمود السيد شعبان الذى يشرف على تحرير مجلة سكة الحديد لأنه ينشر فيها مقطوعات شعرية فى الغزل ووصف المرأة ...

وليس فى هذا موضع المؤاخذة من الناحية الخلقية ولا من الناحية الاجتماعية، فإن جميع الصحف والمجلات تنشر شعر الغزل والتشبيب، والإذاعة الحكومية تذيع على الناس صباح مساء فنوناً من المغازلات والمعابثات ...

والفن الصحفى يقضى بأن تحلى المجلة العلمية بهذه الطرائف الفنية لتخفف ما فيها من ثقل المسائل العلمية وتلطف ما بها من جفاف النظريات!

ولكن العجيب بعد هذا كله أن يكون الأستاذ الصاوى هو الذى ينكر هذا ويندد به وأكثر الموضوعات التى يطرقها هو الحديث عن المرأة فى شتى صورها ومغامراتها

دع إنكار هذا لغيرك يا أخى، دعه لسماحة الشيخ الصاوى شيخ الطرق الصوفية، أما أن تتصدى أنت لذلك، فإنه يكون منطق الأعجمى الذى يدرس أنساب العرب. وواعظ قريتنا الذى ينهى عن الحشيش!

الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب:

كتب الدكتور زكى مبارك فى جريدة البلاغ مقالا أشار فيه إلى الموازنة الأدبية التى عقدها الحريرى فى إحدى مقاماته بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب، وقال الدكتور: إن الفكرة فى هذه الموازنة جديدة عند الحريرى فما سبقه إليها باحث من المسلمين

قلت هذا حكم يحتاج إلى التحرير والتصحيح، فإن الفكرة فى الموازنة بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب قديمة فى الأدب العربى، وتسبق الحريرى بأجيال وأزمان، فقد كان الكتاب الحاسبون يعرفون بكتاب الخراج، وقد أشار عبد الحميد الكاتب فى رسالته التى توجهها إلى الكتاب إلى هذا المعنى إذ يقول: «ولا تضيعوا النظر فى الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج». والواقع أن الحريرى وجد مادة متوفرة لتلك المناظرة التى عقدها، حتى الأوصاف التى خلعها على الكاتب المنشئ والأخرى التى وصف بها الكاتب الحاسب قد أخذها كلها عن الكتاب السابقين وليس له فيها من فضل إلا المقابلة والمزاوجة وإيثار السجع فى التعبير

ولقد كان رجال الأدب والعلم ينظرون إلى الكتاب الحاسبين نظرة إغضاء على العموم، وكانوا يعتبرون علم الحساب من العلوم التى لا تحتاج إلى موهبة خاصة أو فطرة سمحة، وكانوا يسمونه علم الصبية، ولا يحسون على الأخذ منه إلا بقدر ما يعين على معرفة التقسيم فى علم الفرائض. وقد ظلت آثار هذا الرأى بادية بين علماء الأزهر إلى عهد قريب؛ وكل ما أريد أن أشير إليه هو أن الحريرى لم يكن المبتدع لهذه الفكرة ولا أول من جال فى مجالها كما ذكر الدكتور ...

«الجاحظ»

الأدب والفن في أسبوع

الفن والبيئة المصرية :

جاء في مجلة المصور ما يلي : « كان من مظاهر عناية جلالة الملك بالفن والفنانين أن أمر جلالته بتخصيص قطعة أرض مجاورة لقصر القبة العامر ، مساحتها نحو ثلاثة أفدنة ، لينشأ عليها مبنى للصناع الذين يظهرون نبوغاً في فن الرسم والنحت وما إليهما . ويرى جلالته أنه ينبغي تنشئة جيل جديد من الفنانين الذين لم يتشبعوا بعد بالفن الأجنبي ليجيء فنهم مصرياً خالصاً من وحي طبيعة مصر وبيئتها »

وهذا الرأي السامي الذي ارتآه جلالة الملك يتضمن لفتة ألمعية بارعة إلى ناحية من أبرز نواحي النقص في الفنون عندنا ، بل لعلها علة القصور في جمهرة الفنانين ، وهي الانشغال بالتقليد والاقتباس عن الإحساس بالبيئة وتأمل الطبيعة والأحوال المحيطة ، وليس هذا في الرسم والنحت فحسب ، بل هو في سائر الفنون . فنرى الروح الغربية تغلب في الرسم والموسيقى والتمثيل وتمتد إلى الأدب ، ولم يقف ذلك عند حد الاستفادة من الفنون الغربية بما يجدد فنوننا ويسير بها نحو التقدم ، بل إننا نستنفد طاقتنا في أكثر النواحي الفنية ، في كل ما هو بعيد عن مجتمعنا وعالمنا ونفوسنا

وما أظن أن لدينا من الرسومات والمنحوتات المصرية البحتة في هذا العصر ما يصح أن يكون إنتاجاً كافياً لأن يقال إن في مصر للرسم والنحت فناً مصرياً له مقوماته وشخصيته

وهذه الموسيقى التي يقال إنها موضوعية أو تعبيرية ، تسمع القطعة منها فلا تحمل إلى إحساسك أي شيء من موضوعها ، وهي وغيرها أصوات متشابهة ، قليل منها ما تستريح إليه الأذن ، وأكثرها ما تستريح منه بوقف المذياع ! وذلك لأنها محاولات تقليدية لم تبلغ أن تكون فناً أصيلا يعبر عن الذات ويصور الإحساس . ولقد كانت لأسلافنا موسيقى نسمع عن تأثيرها البالغ ما يؤسفنا لحاضرنا في هذا الفن ، كموسيقى الفارابي التي أضحك بها وأبكى ، ثم أنام بها الحاضرين وانصرف ...

وأدبنا أيضاً لا يصدر أكثره عن بيئتنا وحياتنا ولا توحيه طبيعتنا . فالشعر « يستغرب » ، والقصة لا تزال غربية ، وحتى الأفكار الاجتماعية تقتبس ، وإلى جانب هذه الروح الغربية تغلب أيضاً الروح العربية السلفية ، فأدبنا يقضي أكثر أوقاته إما في الماضي ، أو في الغرب .

وأصل الداء في كل ذلك أننا ننسلخ عن بيئتنا ونقتلع أرواحنا من منابتها الأولى ، ويتمثل هذا في الناشئ الذي يتعلم في (كتاب) القرية ، ثم في مدرسة المركز الابتدائية ، ثم في الثانوية بعاصمة المديرية ، ثم في جامعة القاهرة أو الأسكندرية ، وقد يذهب إلى ما وراء البحار ؛ وهو في كل مرحلة من هذه المراحل يبتعد عن القرية بعقله وروحه بمقدار ما انقضى من الزمن وما بعد من المسافة ، فإذا رجع إليها شعر بالفارق بينه وبين أهله وأهلها لم يطب له المقام فيها ... فيهجرها ...

وليس لهذا النقص في فنوننا إلا علاج واحد ، هو الذي أشار به الفاروق ، وهو أن نعيش في مواطننا ونحس بما يضطرب في عالمنا ونستوحي طبيعتنا ، ليكون فننا صورة لنا وعنواناً علينا ، ويكسب بذلك الروح الذي يكون به فناً حياً .

السجل الثقافي :

رأت المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف أن كثيراً من الهيئات الرسمية والحرة تقوم بنشاط ثقافي متصل لا يعرف عنه إلا القليل ، ولو عرض هذا النشاط متجمعاً واضحاً لكان دعاية قوية لمصر ، ولكان مادة نافعة تمكن الدارس من متابعة سير تلك الهيئات وإنتاجها وتوجيهها فيما يزيد الانتفاع بها ؛ فتقرر إنشاء قسم بها للقيام بتجميع نشاط الهيئات الثقافية ، وسمي « إدارة التسجيل الثقافي » وعمل هذه الإدارة تسجيل مظاهر النشاط الثقافي في البلاد من كافة جوانبه ، عدا الجانب الذي تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية ، ليجتمع للباحثين في شئون الثقافة العامة أسباب العلم بما بلغته البلاد من التقدم العلمي ، ومدى وعيها الثقافي ، وما ينتظر أن تبلغه على الأيام في هذا السبيل ، ليؤدي ذلك إلى غايتيه الطبيعيتين :

الأولى تعريف ضيوف مصر والمهتمين بشئونها من الأجانب ، المكانة التي بلغتها مصر من الثقافة العامة .

الثانية إعداد البيانات والوثائق التي تحتاج إليها الحكومة ، والهيئات العلمية ، والمثقفون في البلاد ، لتدعيم النهضة الثقافية ، وتوجيهها الوجهة الكفيلة بتحقيق مصلحة البلاد ، وتكميل النقص فيها ، ومدها بأسباب القوة والاستمرار ، حتى تكون مشروعات البلاد وبرامجها الثقافية العامة مستندة إلى أساس ، قاصدة إلى هدف .

ولتحقيق هذين الغرضين كان أول ما تهتم به إدارة التسجيل الثقافي إصدار « سجل ثقافي » سنوى يصف مظاهر النشاط الثقافي خلال عام ويبين اتجاهات هذا النشاط ومراميه ، وسيشتمل هذا السجل على أبواب النشاط الثقافي في البلاد ، وما أدته كل هيئة من الخدمات الثقافية خلال العام ، سواء في ذلك الهيئات الرسمية والهيئات الشعبية ، كجمع فؤاد الأول للغة العربية وما يشبهه من المجامع ، ودور الكتب في القاهرة والأقاليم ، والمتاحف العامة والخاصة ، والجميات الثقافية ، والجامعة الشعبية ، والأندية العلمية ، والمعارض ، والإذاعة ، والمسرح والسينما ، وحركة النشر والطباعة ، والصحافة ، والمحاضرات ، والتعاون الثقافي ، وما يتصل بذلك من ألوان نشر الثقافة .

وقد استقر الرأى على اعتبار العام الثقافي من أول يناير إلى آخر ديسمبر ، ويصدر « السجل الثقافي » السنوى بعد إتمام تجميع مواد العام الثقافي ، ويقدر لذلك نحو ثلاثة أشهر بعد انتهاء العام .

وقد تكونت الإدارة من الأستاذ محمد سعيد العريان رئيساً ، والأستاذ عبد الحميد يونس وكيلا ، والأساتذة كامل حبيب وعباس خضر وأنور المعداوى أعضاء فنيين . وابتدأت العمل في مكانها الجديد الذي اختير لها بميدان الخديوى إسماعيل بعيداً عن الديوان العام للوزارة وضغط أصحاب الحاجات الذين تزدحم بهم مكاتب الموظفين وردهات الديوان .

المؤتمر الثقافي :

عرف القراء مما كتبناه فيما مضى أن اللجنة الثقافية بالجامعة العربية دعت إلى عقد مؤتمر ثقافي بلبنان في الأسبوع الأول من سبتمبر القادم تنفيذاً للمعاهدة الثقافية المعقودة بين دول الجامعة العربية .

وسينظر هذا المؤتمر في وضع حد أدنى مشترك لمواد الدراسة في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في البلاد العربية ، وذلك في اللغة العربية والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية ، كما سيعنى بمعالجة طرق تعليم اللغة العربية . ومنذ قليل فرغت اللجنة المؤلفة بوزارة المعارف المصرية لتيسير تعلم اللغة العربية ، من مهمتها ووضعت تقريرها ، ولكنها رأت عدم إذاعته انتظاراً لما يسفر عنه بحث المؤتمر الثقافي في هذا الموضوع .

وكانت لجنة المؤتمر التحضيرية قد وجهت إلى الحكومات العربية أسئلة في المواد التي هي موضوع نظر المؤتمر ، بقصد إثارة النقط التي ستبحث ، ليبدى المختصون آراءهم فيها . وقد تلقت اللجنة أبحاثاً كثيرة من الهيئات والأفراد واختارت ما رأته صالحا منها ، ووضعت تقارير عما تضمنته هذه الأبحاث .

ومن الأسس المبدئية التي وضعتها اللجنة التحضيرية لأبحاث المؤتمر بيان العيوب الحالية في طرق التدريس والمناهج ، واقتراح ما يراه الباحث من وسائل النهوض بها وخاصة في تيسير القواعد وتيسير الكتابة ووضع خطة نافعة لتدريس تاريخ الأدب ونصوصه

أما في الجغرافيا فيعنى بجغرافية البلاد العربية خاصة ليقف أبناء كل من البلاد العربية على أحوالها المختلفة من طبيعية وعمرانية واقتصادية ، ويستعان في ذلك بالمصورات والأفلام والرحلات

وأما التاريخ فتتجه العناية فيه إلى التاريخ العربي والروابط التاريخية بين البلاد العربية في العصور المختلفة

وفي التربية الوطنية سيكون أول أغراضها إعداد المواطن العربي المستنير ليكون مواطناً صالحاً في مجموعة البلاد العربية كما هو مواطن صالح في أمته ، ويهتم بالوسائل التي تكفل تدريبه كالرحلات والجماعات المدرسية

وقد تلقت الأمانة العامة للجامعة العربية من الفنادق اللبنانية بيانات للتخفيضات التي قررتها في أجورها لأعضاء المؤتمر ، كما قررت إدارات السكك الحديدية المصرية واللبنانية والفلسطينية

تخفيضات مختلفة فى أجور الســفر للأعضاء ، وكذلك بعض شركات الطيران والسيارات .

وقد أذاعت وكالة الأنباء العربية من بيروت أنه سيشترك فى المؤتمر الثقافى العربى أربعون سيدة عربية .

السينما والأهداف القومية :

من أنباء أمريكا أن دعاة صهيونيين قد اتفقوا مع جماعة من الممثلين والممثلات المشهورين للاشــتراك فى أفلام تدور حول الدعاية الصهيونية . وقرأت فى إحدى المجلات الفنية أن صــناعة السينما فى إيطاليا تتجه فى الوقت الحاضر إلى معالجة الموضوعات التى ترمى إلى النهوض بالأمة من كبوتها ، وإلى خلق مجتمع جديد يتمتع فيه الفرد العادى بحقوقه كاملة .

فهل يمكن أن يعمل القائمون بصناعة السينما فى مصر أفلاماً من هذا القبيل للدعاية لقضيتنا متخذين مما يدور حولها الآن فى مجلس الأمن من عراك ونقاش ، مادة لعملهم ، وإن فى مناظر وفدنا هناك فى اجتماعاته ودعاياته ومواقف رئيسه الخطابية فى المجلس لمجالا واسعاً لذلك ، وقد أنهت إلينا الأنباء أن مندوبى شركات السينما قد نشطوا فى التقاط الصور فى مختلف الأوضاع ، فما نصيب فننا السينمائى من هذا كله ؟ وما جهده فى خدمة هذه القضية ؟

ومن يدرى فقد ينشط الإنجليز فى الدعاية ضد قضيتنا بالأفلام أيضاً . فهل نقف أمام ذلك مكتفين بأضعف الإيمان ..؟

إننا نتخذ السينما اليوم ملهاة فارغة ، أى أنها تسلى الشعب وتروح عنه ولكنها لا تحمل إليه شيئاً ذا بال ، ولكن الشعب لن يصبر طويلا على هذه الحلوى ، فإن وعيه القوى يفتح شهيته لغذاء نافع ، وغاية الرجاء أن يصاحب هذا الوعى نضج السينمائيين والتفاتهم إلى مقتضيات الأحوال .

إننى لست متشائماً ، فالزمن مع الوعى يحقق ما نصبو إليه ، وقد مضى ما يكفى من الزمن واكتملت يقظة الوعى ، فالتحول المنتظر وشيك الوقوع .

الأدب بين مصر ولبنان :

قرأت الكلمة التى كتبها من بيروت الأستاذ سهيل إدريس ونشرت فى العدد الماضى من الرسالة ، والتى عقب فيها على ما كتبته فى العــدد (٧٣٤) حول ما يعتب به علينا إخواننا اللبنانيون من إهمال مؤلفاتهم فى مصر . وأجمل ردى على تلك الكلمة ، أو ما أود أن أقوله فيما تضمنته ، فيما يلى :

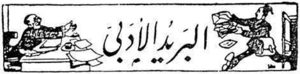
١ — كتبت فى الموضوع واحداً وثلاثين سطراً ، أكثرها فى بيان تقصير لأدباء المصريين فى حق المؤلفات اللبنانية ، وذكرت فى ثلاثة أسطر ما مجمله أن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً . ففصل الكاتب هذه الثلاثة الأسطر وجال حولها جولة أثارت غباراً أوثر أن أكتفى بالقول أنه حجب عن العيون كيفية تناولى للموضوع ...

٢ — قال إننى أطلقت القول دون أن آتى بمثال لمن غضب من النقد . والحمد لله ، لقد كفانى الأستاذ نفسه هذا الأمر ، إذ حمل علىّ هذه الحملة لمجرد تلك اللفتة الرقيقة التى جاءت بعد كلام شديد فى الإنحاء على الأدباء المصريين ، وقد كفانى الأستاذ بذلك أيضاً مؤونة الخروج عن منهجى فى عدم التجريح بذكر الأسماء .

٣ — كنت أرانى أستحق نفحة طيبة من رُبَى لبنان ، بدل هذا الذى ساقه إلىّ الأستاذ سهيل ، أو بجانبه على الأقل ..

وبعد فأستشعر « الحساسية والذوق والمودة » وأبعث إلى الأستاذ سهيل إدريس ببيروت — تحية :

« العباس »



في اللغة فعلاء :

نبه الكاتب الباحث الأستاذ الفاضل محمد سليم الرشدان في الرسالة الغراء (٧٣٥) على وصف الكاتبة الفاضلة الكاملة السيدة منيبة الكيلاني الأروقة — وهي جمع — بالسوداء — وهي مفردة — في مقالها (لسان الدين بن الخطيب) .

في (إرشاد الأريب) لياقوت في سيرة أبي العلاء :

قال الشيخ أبو العلاء (رضي الله عنه) : لزمت مسكني منذ سنة (٤٠٠) واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده إلا أن أضطر إلى غير ذلك . فأمليت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم — أحسن الله معونته — فألزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاء ، لأنه أفنى في زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه ، والله يحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء .

وفي رسالة المنيح لأبي العلاء (رسائل أبي العلاء ص (١٦) ونهاية الأرب ج ١٤ ص ٢٦٥) :

وكم في أديم الخضراء ، من أشباح مضيئة زهراء .

وفي (المخصص) ج ١١ ص ١٧٢ :

الرُّغْل : حمضة تنفرش وعيدانها صلاب ، وورقها نحو من ورق الحاجم إلا أنها بيضاء ، وهو أجود الحمض . وقيل هو ذو قضبان ، له ورق[1] مثل الأظافير خضراء غبراء . وقيل : هو بقلة ليست بشجرة »[2] .

إذا قال هذان الإمامان ما قالاه فللسيدة منيبة ، ولكل أديب وأديبة ، الإئتمام بهما ، ولن يضل — إن شاء الله — مهتد بهديهما

(١) الورق يجوع . روى المصباح للأخطل .

فكأنما هي من تقادم عهدها ورق نشرن من الكتاب بوالي

(٢) وصف الجمع بمفرد في (الكشاف) ج ٢ ص ٣٨٣ وفي (شرح ديوان الحماسة) ج ٤ ص ١٢٠ وفي رسالة للصاحب في (إرشاد الأريب) ج ٦ ص ٢٩٧ .

لقد شغل العرباني الجرماني العلامة (كرنكو) اللغويين والأدباء أكثر من عشرين سنة بنقده ما نقده ، ولم يزل يشغلهم .

السهمي

خير الأمور الوسط ... أيضاً :

كتب الدكتور أمير بقطر مقالا في مجلة الهلال عنوانه : (شر الأمور الوسط) وأخذ يندد بأوساط الأمور ويعتبرها (أقلها إنتاجاً ، وأبخسها ثمناً ، وأسرعها زوالا ، وأخفها أثراً في النفوس) فجاء الأستاذ مصطفى محمد إبراهيم وكتب كلمة في العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء ، يحتفظ لهذه الحكمة بكيانها واعتبارها ؛ فحمل كلمة الوسط على أنها خير الأشياء وأعدلها .

ويؤسفنا أن نقول أن كلا من الدكتور العلامة ، والأستاذ الفاضل قد تنكب الجادة ، فليس المراد من الوسط في هذه الحكمة وسط كل شيء . وإلا كان العرب الذين أجروها على ألسنتهم بلهاً مغفلين ، وليس المراد من الوسط (من كل شيء خيره وأعدله) وإلا كانت الكلمة متهافتة فتئول حينئذ إلى هذه الركاكة (خير الأمور خيرها) وهو ما نبرىء العرب من التورط فيه .

وإنما قصدت العرب من الوسط هنا معنى أدبياً هو الحد بين الإفراط والتفريط ، ولذلك يقولون : الفضيلة حسنة بين سيئتين ، والجود مثلا وسط بين البخل والإسراف ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، وليس الطالب الذي ينال ٦ من ١٠ حائزاً على الوسط الذي قصدوه . ولو أردنا أن نضرب المثل بالطالب لقلنا إن من الطلاب من يعتدل في استذكار دروسه فيعطي الدرس حقه ويعطي نفسه حقها ، ومنهم المسرف الذي يعمل الليل والنهار ، ومنهم المكسال وخير الثلاثة المتوسط .

ونحن إذا رجعنا إلى أقوال العرب وجدنا فيها ألف دليل على هذا الذي ذهبنا إليه .

فالشاعر يقول :

فرط التناهي غلط خير الأمور الوسط

ومن أمثالهم : (لا تكن حلواً فتسترط ، ولا مراً فتعقى)

أى تلفظ ، وقول مطرف ابن الشخير : (الحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أوساطها) .

فلا حاجة بنا — إذن — إلى حمل الوسط على معناه فى قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » كما لا حاجة بنا إلى التنبيه على أن الدكتور بقطر ذهب عليه معنى الوسط ، وفهمه فهماً حسابياً ! !

علی العماری

المدرس بالأزهر الشريف

نعم الضمير مطمئن :

قرأت كلمة الأستاذ الشاعر محمود عماد بعدد الرسالة الغراء ٧٣٢ رداً على الأستاذ محمد غنيم وفيها يقرر أن الضمير الثانى فى « هذه مسألة لها أهميتها » — وما شابهها — لا يزال قلقاً واستدل على قلقه بتفسير الأستاذ غنيم للآية الكريمة . وطلب الاستشهاد بمثال آخر من القرآن أو من مقول العرب .

فإليه أبعث بهذه الأمثلة مقرراً ما قاله الأستاذ غنيم ، وهو أن الضمير مطمئن له أهميته ، ومثل هذا التعبير إنما يرد فى مقام التقرير لأن المسألة لها أهميتها فى ذاتها وهذه الأهمية مقصورة عليها لا تتعداها إلى غيرها .

يقول الله تعالى « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » ويقول : « لهم أجرهم عند ربهم » ويقول : « وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم » .

ويقول ابن الرومى :

لها أجرها إن أحسنت فلنفسها ... وميزانها يوم القيامة أرجح

ويقول مهيار الديلمى :

لى عفتى عنــــه وما نال له ... وخيرنا من عارك العيش الخشن

ويقول :

له خصبه دونى ولى نوطتى به ... وعون أيامه وهو مجدب (كذا)

ويقول :

تحل بها يا سعد فهى قلادة ... يزين فيها فاخرَ الدر ثقبه

لها حسنها لكن أريدك شافعاً ... وخير شفيع لى إلى الجسم قلبه

وعلى هذا فالتعبير بهذه الأمثلة صحيح وسليم . وما أظنه إلا مقراً بأن الضمير له اطمئنانه وأهميته .

(القاهرة) كمال الخولى

تصحيح بيت :

فى العدد ٧٣٣ من الرسالة الغراء كلمة للأديب عدنان أسعد من قصيدة للشاعر السودانى المرحوم « التيجانى يوسف بشير » نشرت فى مجلة « العالم العربى » بعنوان « فى محراب النيل » وهو

واستفاقوا يا نيل منك لنــــغم ... م شجى من آلهى ربابك

إذ قال إنه مكسور لأنه ظن أن لفظة « إلهى » التى وردت فى البيت منسوبة إلى « الإله » والصواب أنها منسوبة إلى « الآلهة » لا إلى « الإله » كما جاء فى الديوان وبذلك يكون البيت بصورته صحيحاً

وهناك الكثير من الأبيات وردت فى ديوان الشاعر السودانى ضمنها هذه الكلمة مثل :

والأخ الحبر..والفتى الآلهى النفـ ... ـس خلو من الحجا والضمير

(اسكندرية) محمد مفتاح الفيتورى

إلى الأستاذ (الجاحظ) :

ورد فى تعقيباتكم فى عدد الأسبوع (٧٣٥) من الرسالة تحت عنوان « ولبكتهم الملمون » ما يلى :

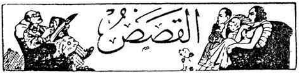
« ولو أن هذا التعبير وقع من جماعة المهندسين مثلا لأغضينا عنه وقلنا أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولابتغينا له أوجه التأويل ... » .

ولم أجد يا سيدى سبباً يدعوك لتختار جماعة المهندسين وترميهم بعدم الدقة فى التعبير والجهل بقواعد اللغة وتقول (أمر ليس من صميم صناعتهم) . إن المهندس أكثر الناس دقة فى اختيار ألفاظه ومعانيه — ويزداد عنهم إيضاحاً بالتجائه إلى المعادلات والأعداد . وبمصر مهندسون يفاروك كل الغيرة على على مهنتهم ولغة بلادهم .

أنا معك يا سيدى فى أن نهضتنا الهندسية حديثة وأنه لم يتم للآن الاتفاق على بعض مصطلحات العلوم الحديثة ولكن أود إحاطتك علماً بالمجهودات التى تبذلها نقابة المهن الهندسية وجمعية المهندسين الملكية فى هذا الباب .

ختاماً إن كنت قد أسأت فهم قصدك فلى منك بيان .

المهندس وحيد مصطفى



قصة إسلامية :

شـيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

— ٢ —

وجدت هذه الدعوة طريقها إلى بعض الآذان ، وتهامس كثير من الخدم وقبلوا أخيرا وأعلنوا الموافقة وعمد كل فريق منهم إلى سيده فشد وثاقه وأحكم قيده ، ثم تفرغوا إلى الأمتعة يسلبون وينهبون ما تصل إليه أيديهم .

ولما عاد إدريس وسمع صيحات الخيانة تتردد في جنبات المعسكر ، انتقى سيفه ، واستعد للنزال ، فاعترضه أحد الخدم وقال له :

— لا تضيع الوقت يا إدريس ، فهذه فرصة قل أن تسنح . إن القراصنة عاهدونا عهدا وثيقا أننا سنقتسم وإياهم كل ما نسلب ولم يدعه إدريس يتم حديثه فبادره بقوله :

— بماذا تنطق يا هذا ؟ وماذا تريد أن تقول ؟

— أقول إن الظروف قد هيأت لنا أن نسلب متاع هذا التاجر ، ونختص بها دونه ، وسنتنزل لك عن نصفها ، ونشترك جميعا في النصف الآخر … وها نحن أولاء قد أحكمنا قيد سيدنا ؛ فلا تتردد وسارع إلى معونتنا …

لم يكن لدى إدريس سوى عمل واحد لإجابة ذلك الخادم ، فإنه لم يكد يتم جملته حتى كان السيف قد فلق هامته ، فسقط على الأرض تتفجر الدماء غزيرة منه ، ثم دلف إدريس إلى إحدى الخيام فوجد سائر الخدم منهمكين في كسر الصناديق ، وتفريغ الأواني الذهبية ، وربطها استعدادا للرحيل ، فلما وقع عليه نظرهم حسبوه قد خف لمساعدتهم ، فقالوا في لفظ واحد :

— مرحبابك يا إدريس ! ستكون الجمال هنا بعد قليل ، فلم يمهلهم إدريس إلا ريثما لفظوا تلك اللفظة ، فأمسك بسيفه وأجهز على ثلاثة منهم في طرفة عين ، فلاذ الباقون بالفرار …

ولما لم ير إدريس سيده ولم يسمع له صوتا ، انتقل إلى خيمته الخاصة فوجده ملقى على وجهه في أحد الأركان . وبجواره واحد من المتمردين والسيف في يده ، فقال له ذلك المتمرد حين رآه بعد أن ركل التاجر برجله :

— ماذا يجب أن نعمل يا إدريس لنتخلص من هذا التعس؟

تأثر إدريس من الحالة التي وصل إليها سيده ، ومن الخيانة التي بدرت من أتباعه ومن هذه الوحشية والقسوة التي عاملوه بها ؛ إنهم قد شدوا وثاقه ، وأحكموا قيده ، وطرحوه أرضا ، وشهروا عليه سيوفهم … إن إدريس مسلم ، ودينه لا يبيح له أن يتخلى عن أداء واجبه وإن عرض عليه نصف المتاع ثمنا لتخليه .

حقا إنه وحده في هذا المكان أمام زملائه الذين سولت لهم أنفسهم أن يتألبوا على ولى نعمتهم .

وحقا إن سكوته سيجعل منه بعد ساعات معدودات غنيا كبيرا ، وثريا عظيما ، وليس بالهين عليه أن ينقذ سيده ، كما أنه ليس بالهين عليه أن يقف مكتوف اليدين لا يعمل عملا …

إن ضمير المسلم يهيب به أن يعمل على انقاذ سيده وأن يرعى حقه عليه ، وأن يكون وفيا له ، أمينا مخلصا ، وأن يربأ بنفسه وينأى بدينه عن أن يتسفل إلى هذا الدرك من الانحطاط الخلقي . وهذا ما كان من إدريس فقد وثب على الخادم الذي يحرس التاجر وثبة النمر ، وجرده من سيفه ثم أطاح برأسه ، وبسرعة البرق حل قيود سيده ، وعاونه على النهوض .

أما بقية الأتباع فقد كانوا في شغل عن ذلك كله بحزم الأمتعة في الخيام الأخرى . ففاجأهم إدريس وصرخ فيهم صرخة قوية نبهتهم إلى الخطر الداهم ، فلما هموا بالقضاء عليه رأوا بجانبه سيدهم وبيده سيفه البتار ، فغشيهم من الهم ما الله به عليم . وقبل أن يثوب إليهم رشدهم ، أعمل إدريس وسيده فيهم سيفيهما فسقط اثنان منهم يتخبطان في دمائهما . فلما رأى الباقون ذلك ولوا مدبرين . وتركوا كل شيء على ما كان عليه .

في الصباح الباكر لاح في وسط البحر على مد البصر ، مركب القراصنة يمعن في الهرب ، وهم مشحونون بما سرقوه من

أموال ومتاع . وكانت جثث القتلى والجرحى متناثرة حول الخيام في منظر رهيب ترتجف لهوله القلوب ، ولم ينج من التجار سوى سيد إدريس ، فقد كتب الله له السلامة على يد رفيقه الأمين وحارسه المخلص الذي أبى عليه دينه وأبت مروءته أن يترك سيده في محنته . كان إدريس مؤمناً حقاً ، طبعه الإسلام بطابعه ، فنشأ متواضعاً جم التواضع ، كبير النفس ، عالي الهمة كثير الوفاء ، شديد الإخلاص أحرص على تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حرصه على حياته ، فكان يرى أنه لا يليق بالمسلم أن يلوث سمعة الإسلام بالجبن أو الخيانة ، أو القعود عن نصرة الضعيف ... وكان رد على ثناء سيده عليه بعد تلك الليلة بقوله :

— إنني يا سيدي لم أقم إلا بما يجب عليّ كإنسان مسلم يعلم أن الله يجزي المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

كانت تلك الفرصة هي التي ولدت في التاجر الثقة بإدريس ، وأعلت منزلته في قلبه ، حتى أصبح لا يعمل إلا بمشورته ، ولا يصدر إلا عن رأيه ، وكان الرجل من كبار التجار في الأندلس ، له القصور الشامخة ، والمزارع الواسعة ، والحدائق الغناء ، والبساتين الزهراء ، يحوطه جيش من الخدم والحشم ، ويتمتع بتقدير الناس ومحبتهم

ولما استقر المقام بالتاجر في بلده بين أهله ، أقام حفلا كبيراً ، شكراً لله على سلامته ، ودعا إليه سراة القوم وعِلْيتهم ، وقدم لهم إدريس منقذ حياته ، وامتدح لهم شجاعته ونجدته ، وقص عليهم قصته ، وقال في تمام حديثه : « فلولا إدريس لكنت في عداد الأموات منذ أمد بعيد ؛ فأنا مدين له بحياتي ! » .

جعل كلام الرجل لإدريس مكاناً ممتازاً في نفوس الناس وقلوبهم ، فكانوا يجلونه ويحترمونه ، ويقدرون فيه أخلاقه الإسلامية الكريمة ، التي فتحت له أبواب السعادة في مستقبل حياته ، فلقب بشيخ الأندلس ، وصار أغنى أغنيائها .

وفي مكان منعزل عن المدينة وضوضائها ، كانت الساحة الشعبية التي أعدتها حكومة الأندلس الإسلاميـــة ، لإقامة المهرجانات الرياضية والمباريات في الرماية والفروسية ، وكانت الساحة واسعة ، اكتست أرضها بحشيش أخضر جميل ، وقامت في جوانبها أبنية فخمة في شكل دائري ، واجهتها مكشوفة إلى الناس ليجلس فيها المتفرجون أيام المباريات ، وكانت الساحة مفتحة الأبواب لجميع المواطنين من غير تمييز بينهم في الجنس أو الدين ؛ فقد كان للأندلسيين ولع شديد بالرياضة على اختلافها ، فكان البرابرة والعرب واليهود منهم والمسيحيون والمسلمون يؤمون تلك الساحة من كل فج في نشوة الفرح وغمرة السرور .

وكان العلم الإسلامي الوطني يخفق في قمة البناء ، ينشر العدل والإخاء ، ويدعو إلى التسامح والمساواة ، وكانت المباريات الرياضية والمهرجانات الشعبية في المناسبات الدينية ، والأعياد الوطنية ، وكان أعظم تلك المباريات المباراة التي تقام في أيام عيد الفطر من كل سنة ، فقد كان يتقدمها عرض عسكري عام ، تتبعه حركات رياضية ماهرة ، وكان نبلاء المسلمين وأمراؤهم يدعون إليها كبار المسيحيين وعيونهم ليشتركوا في الرماية وسباق الخيل .

وكانت الوفود تتوالى على المدينة من أقاصي البلاد وأدانيها لشهود المهرجانات ، فيقابلهم السكان بالحفاوة والترحيب ويفتحون لهم صدورهم وبيوتهم ، ويقيمون لهم الولائم الفخمة والحفلات العظيمة ، وكانت الحكومة تعد بيوتاً لمن لم يجدوا لهم مأوى . توفر لهم فيها أسباب الراحة ، وتهيء لهم فيها طيب الإقامة .

وفي إحدى السنوات كان شهر رمضان يقترب من النهاية ، حين أخذت المدينة زخرفها وازينت ، وشرع السكان يتأهبون لاستقبال الوافدين عليهم من أعالي البلاد وأسافلها لحضور المباراة الكبرى ، وكانت عادتهم قد جرت بأن الغرباء عن المدينة يكتبون إلى أصدقائهم فيها أنهم سينزلون ضيوفاً عليهم مدة المهرجان ليمدوا لهم أماكن لإقامتهم ، وكانت برامج المهرجان تذاع بين السكان قبل إقامته بأيام معدودات ، وبينها أسماء المشتركين في المباريات الرياضية ، وركوب الخيل ، واللعب بالسيف والرمح ، وإصابة الأهداف بالسهام . لم يبق على العيد إلا يوم وبعض يوم ، وليس لأهل المدينة حديث إلا حديث المباراة ، ومن اشترك فيها من المسلمين والمسيحيين الذين استعدوا لنزال إسحاق بن إدريس ، ذلك الشاب العربي المسلم الذي توالى انتصاره في عامين متتابعين .

إن القارىء ليذكر أن إدريس بن أحمد قد أصبح أقرب المقربين إلى ذلك التاجر الأندلسي الذي التحق بخدمته في سوريا ورافقه إلى بلاده ، وخلصه في الطريق إليها من براثن موت محقق ، ولقد نعم إدريس بجواره بضع سنوات كان فيها موطن سره ، وموضع إعزازه وإكباره ، فلما وافته منيته ولم يكن قد أعقب ذرية تؤول إليها ثروته الطائلة أوصى بها لمنقذ حياته إدريس وفاء لحقه واعترافاً بفضله ، فأصبح إدريس منذ ذلك التاريخ صاحب غنى وجاه عريض . ولقد شكر لله هذه النعمة العظيمة ، فكان ينفق

بسخاء على المعوزين وذوى الفاقة ، وكان يحج كل عام إلى بيت الله الحرام ، ويهدى لأهل الحرمين الشريفين ، ويتنازل لهم عن كثير من الأموال . وقد رزقه الله فى الخامسة والأربعين من عمره طفلا جميل الصورة ، لطيف التكوين ، ورث عنه صفاء العقيدة ، وحدة الذهن ، ونقاوة الضمير ، فاهتم بتربيته وتنشئته على الأخلاق الإسلامية الحميدة ، وعلمه ركوب الخيل والرماية ، فشب نبيل الطباع ، نادر المروءة ، كريماً سخياً . فلما استوى عوده ، واشتد ساعده ، أضحى مضرب المثل فى الفروسية وركوب الخيل . وكان أبوه إدريس قد بلغ من الكبر عتياً ، فعلق على ابنه كل أمل له فى الحياة ، واتخذ منه دعامة قوية ، وعدة صالحة للمستقبل

ولقد نال إسحاق فى سنتين متعاقبتين جائزة البطولة الذهبية فى المباراة الكبرى ، وتردد اسمه فى هذه السنة على كل لسان ، وتساءل الناس متشككين : أيحوز قصب السبق مرة ثالثة وقد احتشد له كبار الرماة من المسيحيين الذين برعوا فى ركوب الخيل وقد هرعوا لنزاله من مناطق شاسعة البعد ؟

حل اليوم الذى تختم به المباراة الكبرى ، وتخفق فيه قلوب المتنافسين رغبة فى الفوز ، ورهبة من الفشل ، وبدأ الناس يفدون إلى الساحة مبكرين ، وقد أخذوا زينتهم ، ولبسوا أبهى حللهم ؛ وكانت السيدات يتباهين بجمال زينتهن وحسن هندامهن وهن فى الطريق إلى مقصوراتهن الخاصة بعيدات عن الرجال ، وكان للنساء الأندلسيات ولع بشهود المباريات ولا يشتركن فى اللعب . وكان للخليفة وكبار الحاشية مقصورات خاصة بهم فى أبنية الملعب .

ولما دقت الساعة العاشرة ، وكانت الساحة غاصة بالرجال والنساء والأطفال يستمعون لأنغام الموسيقى ، ركب المتبارون جيادهم وأخذوا يقطعون الساحة ذهوباً وجيئة ، وهم يتيهون فى ملابسهم الوطنية الزاهية ويتأهبون لاستقبال الخليفة وبدء المباراة .

وما هى إلا دقائق معدودة ، حتى قرعت الطبول إيذاناً بقدوم الخليفة ، فاشرأبت الأعناق ، وشاهد الحاضرون كتيبة من الفرسان تتقدم الموكب ، وكلهم من زهرة الشباب العربى المسلم ، ترقص الخيل تحتهم ، وتلمع السيوف فى أيديهم ، ثم وليها الرجالة وهم من خيرة رجال الحرب ، يحملون الأعلام الوطنية الإسلامية ، وعلى صدورهم الأنواط التى فازوا بها فى المعارك التى خاضوا غمارها وخرجوا منها ظافرين . ثم لاح الخليفة يحيط به الأمراء وكبار رجال الحكم والأمن على خيل أشد بياضاً من الثلج ، وملابسهم وسيوفهم ناصعة البياض ؛ وكان الخليفة يلبس فوق رأسه عمامة كبيرة مرصعة بالجواهر ، وتعلوها ريشة طويلة ذات ألوان عديدة أكسبتها رونقاً وبهاء . وقد استقبلت الجماهير الخليفة أروع استقبال وهتفت له فى حماسة بلغت عنان السماء وهى تردد : « الله أكبر ، الله أكبر » ! وقذفت السيدات بالمناديل المعطرة في أرض الملعب احتفاء بقدوم الخليفة . رد الخليفة تحية الجماهير بأحسن منها ، ثم أخذ مجلسه وجعل المشتركون فى المباراة يمرون أمامه فى شبه عرض عسكرى يتقدم الأسن منهم ليحيى الخليفة بانحناءة بسيطة ، ثم الذى يليه فى السن ، ورئيس الملعب يقدمهم له بأسمائهم ، فلما كان دور إسحاق — والخليفة يعرفه لأنه فاز بالبطولة مرتين — قال له جلالته : كيف أنت يا إسحاق هذا العام ؟ أخشى أن يعدوك النصر ، فإنك أمام أشهر الرماة وأمهرهم ! فانحنى إسحاق قليلا ثم قال : إننى يا مولاى بحسن تأييد الله ، وبجميل رعايتكم بخير والحمد لله ، وأملى فى الفوز كبير ، ما دمتم عنا راضين !

(يتبع) **وهبى إسماعيل حقى**

مطبعة الرسالة